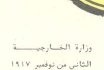
المكتبة التاريخية

صك المؤامرة

وعد بلفور
★ ١٩١٧/١١/٢ ★

جميل عطية إبراهيم
صلاح عيسى



وزارة الخارجية
الثاني من نوفمبر ١٩١٧

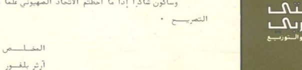
عزيزي اللورد روتشيلد

يسرني جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته ، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية ، وقد عرض على الوزارة وأقرته :

ان حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جديا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى .

وسأكون شاكرا إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علما بهذا التصريح .

المخلص
آرثر بلفور









دار الفتى العربي للنشر والتوزيع





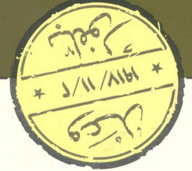




المكتبة التاريخية

« صك المؤامرة » هو وعد بلفور الذي صدر في عام ١٩١٧ ؛ أي منذ نحو ثلاثة وسبعين عامًا .
وهذا الكتاب يحكي بأسلوب روائي قصة صدور ذلك الوعد ؛ من وجهة نظر ممثلين لأطرافه المتعددين .
فشهادة مكماهون ـــ الذي تولى إعداد الساحة العربية لكي تنفذ فيها خطة التقسيم الاستعمارية ـــ تبين كيف تولى مشاغلة ومخادعة الشريف حسين .
وشهادة مونتاجو - الوزير البريطاني اليهودي -تأتي نقيضاً لشهادة مكماهون ؛ فقد عارض بشدة صدور أي وعد يضمن إقامة دولة صهيونية في فلسطين.

أما وايزمن ، فقد كان ـــ كما يقول هو في مذكراته ـــ يرتدي قناعاً لكل مناسبة ؛ أي يكذب ويخادع في سبيل تحقيق أهدافه .
وأما شهادة الشريف حسين ؛ فتبين كيف وقع في شباك الخديعة التي نصبها له مكماهون بوعود كاذبة وخديعة مقصودة .
والشهادة الخامسة هي شهادة فلسطين التي كانت الضحية الأولى لوعد بلفور ، ولمخطط التقسيم الاستعماري .
ومايزال الشعب العربي الفلسطيني يسجل كل يوم جديدًا في شهادته حول وعد بلفور ، وستظل شهادته هذه يرويها الشهيد تلو الشهيد ؛ حتى يسقط الكيان الصهيوني ، ويدفع بوعد بلفور وآثاره إلى إحدى صفحات التاريخ الماضي .



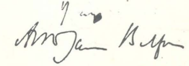
Foreign Office,
November 2nd, 1917.

Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.
















صكّ المؤامرة
وعد
٢/١١/١٩١٧
بلفور

« ستكون فلسطين اليهودية سدًّا في وجه أي محاولات شريرة لإنشاء دولة عربية تضم مصر والشام ، وتهدد مصالحنا من جديد »

بالمرستون

وزير الخارجية البريطانية

عام ١٨٤٠

صك المؤامرة : وعد بلفور

جميل عطية إبراهيم / صلاح عيسى

الطبعة الأولى : ١٩٩١

القاهرة : ٩ شارع مديرية التحرير ، جاردن سيتي

هاتف : ٣٥٥٠٥٦٤ ، تلكس : 93064 TEAM—UN

بيروت : ص . ب ٥٢٣٦ / ١٤ ، برقيا ، دفتنشر

هاتف : ٣١٢٤٢٠ ، تلكس : 230220 ARABI—LE

المكتبة التاريخية

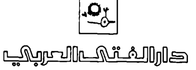
جميل عطية إبراهيم / صلاح عيسى

صكّ المؤامرة

وعد

★ ١٩١٧/١١/٢ ★

بلفور



تقديم

ثلاثة وسبعون عاماً مضت على صدور وَعْد بلفور .

وعبارة وعد بلفور تُطلَق على الرسالة التي وجّهها اللورد آرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا يوم ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩١٧ ؛ إلى البارون ليونيل فالتر روتشيلد ؛ يعلن فيها أن الحكومة البريطانية تتعهد بأن تساعد اليهود على إقامة وطن قومي لهم في فلسطين .

لم يحظَ تصريح سياسي في تاريخ العرب الحديث بمثل الشهرة التي حظي بها هذا التصريح الذي يطلق عليه الجميع اليوم وعد بلفور .

ومنذ صدور هذا الوعد ، وبرغم مرور أكثر من سبعين عاماً على ذلك التاريخ ؛ فإن يوم ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) من كل عام – أصبح موعداً ؛ تعلن فيه الجماهير – العربية عامة والفلسطينية خاصة – عن احتجاجها وغضبها ورفضها لهذا الوعد الذي كان له الدور الأساسي في اغتصاب الصهاينة لأرض فلسطين وتهجير الآلاف من اليهود إليها ، ثم فيما بعد إعلان الدولة اليهودية على قسم كبير من ترابها .

وقد أطلِقت على هذا الوعد صفات كثيرة ؛ شاعت كلها تقريباً ، وأشهرها بالطبع هو الوعد المشئوم ، والوعد ممن لايملك لمن لايستحق . وترسَّخ في أذهان الأجيال المعنَى الحقيقي لوعد بلفور ؛ باعتباره أول تصريح رسمي من دولة عظمَى – في ذلك الوقت – يضمن للصهاينة إقامة كيانهم الخاص على أرض فلسطين . وبهذا المعنَى ؛ فقد كان أيضاً أول تصريح رسمي دولي يعلن اغتصاب قطعة من أرض الوطن العربي وتسليمها للمغتصبين الصهاينة . فالرسالة الوعد تضمنت ذكر الوطن القومي لليهود ، ولم تتضمن أي حديث عن فلسطين كوطن وكشعب ، وإنما اكتفت – بسبب مقاومة بعض المعارضين في الوزارة البريطانية – بالإعلان أن ذلك يتم دون الإضرار بمصالح أهل البلاد .

ولقد جاء صدور وعد بلفور بعد عشرين عاماً من النشاط الصهيوني المنظم الدءوب الذي بدأه هرتزل من أجل إقامة دولة يهودية . وماتزال كتب تاريخ كثيرة تُرجِع صدور هذا الوعد إلى ذلك النشاط الصهيوني ، لكن الحقيقة التي تتضح من قراءة التاريخ وأحداثه تبين أن نيَّة الدول الاستعمارية على تفتيت الإمبراطورية العثمانية ؛ كانت سابقة بكثير على بدء النشاط الصهيوني ، وأن مخطط اقتطاع فلسطين ، وإسكان

وزارة الخـــارجيـــــة

الثاني من نوفمبر ١٩١٧

عزيزي اللورد روتشيلد

يسرني جدا أن أبلغكم بالنيابة عـن حكومـة جلالتـــه ، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أمانـــي اليهــــود والصهيونية ، وقد عرض على الوزارة وأقرته :

إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيـــس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل غاية جهدهـــا لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جديا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التـي تتمتـــع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطيـــن ، و لا الحقوق أو الوضع السياســي الـذي يتمتـع بـه اليهـود فـــي البلدان الأخرى .

وسأكون شاكرا إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علما بهـذا التصريـــح .

المخـــلـــص

آرثر بلفـور

الترجمة العربية لنص وعد بلفور

Foreign Office,

November 2nd, 1917.

Dear Lord Rothschild.

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

Yours

Arthur James Balfour

صورة نص وعد بلفور

يهود أوربا فيها مخطط قديم نادَى به نابليون نفسه ؛ وقت غزوه للشرق ، كما نادَى به كثيرون غيره من قبل ومن بعد .

إن وعد بلفور نفسه أُعلِن في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ ؛ فتصور الناس وبعض المؤرخين أنه صدر بسبب براعة الصهاينة وإصرارهم على هذا الوعد ، أو كما يقال - أحياناً - بمبادلة مباشرة بين حاييم وايزمن العالم الكيميائي الروسي اليهودي وبين القيادة البريطانية ؛ لخشيتها أن يسلم خصومها في الحرب العالمية الأولَى سرَّ صناعة نوع من المتفجرات الذي ينفجر تحت الماء . وقد حرصت الكتابات الصهيونية والاستعمارية على ترويج هذا الجانب من الحكاية ، بحيث تختفي النيَّة المبيَّتة المسبقة لتقسيم المنطقة العربية بعد انسحاب الحكم التركي ، وبحيث يبدو الوعد ؛ وكأنه يلبِّي حاجة إنسانية لليهود المضطهدين في أوربا .

والحقيقة التي ظهرت بعد ذلك ؛ وإن كان يجري التعتيم عليها ؛ هي أن الاتفاق الاستعماري الدولي على تقسيم منطقة الشرق العربي ؛ كان قد تم بالفعل قبل إعلان وعد بلفور بعام كامل على الأقل .

ففي صيف عام ١٩١٦ ؛ التقَى مارك سايكس وجورج بيكو ؛ مع مندوب عن الحكومة الروسية القيصرية في القاهرة ، واتفقوا على تقسيم المنطقة فيما بينهم بعد نهاية الحرب العالمية الأولَى . وعندما اختلفوا حول فلسطين ؛ اتفقوا على وضعها تحت الوصاية الدولية التي سرعان ما آلت إلى بريطانيا العظمَى في ذلك الوقت ؛ أي أن قرار تقسيم المنطقة العربية كان قد تم الاتفاق عليه في مايو ١٩١٦ ، لكن ذلك لم يُعلَن إلا في ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٧ ؛ أي بعد الإعلان عن وعد بلفور . وما كان من الممكن أن يعرف الناس شيئاً عن اتفاق سايكس - بيكو ؛ لولا الثورة البلشفية التي أطاحت بالنظام القيصري ، وأعلنت الوثائق السرية الموجودة في وزارة الخارجية الروسية .

ولقد كشفت وثائق وزارة الخارجية البريطانية - التي أعلنت في السنوات الأخيرة - عن مذكرة كتبها الوزير البريطاني هربرت صموئيل في مارس (آذار) ١٩١٥ ؛ جاء فيها : « إن الإمبراطورية التركية ستنهار في الحرب ، وسيكون علينا أن نختار بين عدَّة احتمالات بالنسبة لمستقبل فلسطين ؛ فإذا تركنا الأمر دون تدخل ؛ فسوف تضم فرنسا فلسطين إلى الشام ؛ فيصبح هناك خطر يتهدَّد المصالح البريطانية . والاحتمال الثاني أن تعود فلسطين إلى تركيا ... أما الاحتمال الثالث ؛ فهو أن توضع تحت حماية عدد من الدول الأوربية ؛ وهو احتمال خطر ؛ لأن ألمانيا ستستغل ذلك لتجعل فلسطين محميَّة ألمانية ، ولن يبقَى سوَى إعطاء فلسطين لليهود ، بشرط أن تصبح تحت الحماية البريطانية أولاً » .

كذلك يذكر حاييم وايزمن - في مذكراته - أن مارك سايكس ؛ وهو نفسه الذي عقد اتفاق سايكس - بيكو لتقسيم مناطق النفوذ مع زميله الفرنسي ، وكان مستشاراً بوزارة الخارجية البريطانية ؛ هو الذي نصح الصهاينة بأن يغيِّروا صياغة البيان الذي قدَّموه إلى الوزارة البريطانية وألا يضمِّنوه أي تفاصيل ، وذلك لكي يمكن أن يمرَّ في وجه المعارضة داخل مجلس الوزراء البريطاني ؛ أي أن سايكس الذي صنع اتفاق تقسيم مناطق النفوذ هو نفسه سايكس الذي اقترح صياغة وعد بلفور .

معنَى ذلك كله أن الأساطير التي يروِّجها الكتاب الصهاينة - الآن - عن دور قياداتهم في إقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين هي أكاذيب أو أوهام ؛ فالواقع أن الدول الاستعمارية الأوربية التي عانت قروناً من قوة الإمبراطورية العثمانية ، وقدَّرت مسبقاً خطر قيام دولة عربية واحدة ؛ هذه الدول الاستعمارية كانت قد عقدت العزم - منذ زمن - على تقسيم المنطقة العربية ، وعلى زرع كيان أجنبي غريب فيها يضمن بقاءها مقسَّمة ، ويشكل قاعدة مضمونة للنفوذ الغربي في المنطقة كلها . وبغض النظر عمّا إذا كان قادة الصهيونية الأوَل كانوا عملاء مباشرين لهذه القوَى الاستعمارية أو أنهم كانوا يتصورون أنهم مستقلون في حركتهم ؛ فقد كانوا - في كل الأحوال - ألعوبة في يد القوَى العظمَى .

ومعنَى ذلك - أيضاً - أن وعد بلفور لم يصدر إرضاء لليهود ، ولاتحت ضغط الصهاينة ؛ إنما صدر تطبيقاً لاتفاق دولي بين الدول الاستعمارية . وقد حرصت الوزارة البريطانية على أن تحصل على موافقة الولايات المتحدة الأمريكية على هذه الخطوة قبل إعلانها ؛ فوافقت كما سبق أن وافقت على الاتفاق - الذي عقدته بريطانيا وفرنسا لتقسيم بلاد الإمبراطورية العثمانية - المعروف باسم اتفاق سايكس - بيكو .

لكن وعد بلفور هذا كان أكثر من تصريح ؛ فلقد صدر عن القوة العظمَى التي كانت فلسطين من نصيبها في مخطط التقسيم الاستعماري ، وقد تولَّت بريطانيا سلطة الحماية على فلسطين التي عرفت بسلطة الانتداب ، وبذلك أصبح لهذا الوعد الذي لايزيد على المئة كلمة - قوة مُؤسسيَّة نافذة ؛ بحيث يمكن القول بأن الكيان الصهيوني قد وُلِد في ذلك اليوم واقعيًّا ؛ وإن لم يعلن عنه رسميًّا إلا في عام ١٩٤٨ ؛ بعد ثلاثين عاماً من القمع المتواصل لجهاد الأمة العربية عامة والشعب الفلسطيني خاصة دفاعاً عن فلسطين ، وبعد حرب عالمية ثانية حارب فيها الصهاينة إلى جانب الحلفاء الذين كانت بريطانيا من بينهم وأمريكا على رأسهم .

ومع أن الإعلان عن قيام الدولة الصهيونية كان بمثابة التفسير الأقصَى لكلمات وعد بلفور الذي تضمَّن الحديث عنها دون إعلانها ؛ فإن رعاية الكيان الدخيل انتقلت مع انتقال مركز القيادة الاستعماري من بريطانيا العظمَى إلى الولايات المتحدة الأمريكية . ولقد صدرت بعد وعد بلفور تصريحات شتَّى ؛ سواء من جانب الحلفاء الغربيين مجتمعين ، أو من جانب الدولة الأكبر فيما بينهم . وتطورت هذه التصريحات من وعد بقيام وطن قومي لليهود إلى وعود وعهود بحماية وجود الكيان الصهيوني ، وضمان تفوُّقه العسكري على مجموع الدول العربية المحيطة . ومع أهمية كل هذه التصريحات ؛ فإن الناس والمؤرخين لايزالون يعتبرون وعد بلفور هو أهمها باعتباره الإعلان الأول عن قيام ذلك الكيان الدخيل .

* * *

وتقدِّم دار الفتَى العربي للنشر والتوزيع هذا الكتاب الذي يحكي قصة صدور ذلك الوعد من وجهة نظر ممثلين لأطرافه المتعدِّدين .

الطرف البريطاني الذي تولَّى إعداد الساحة العربية لكي تنفذ فيها خطة التقسيم الاستعمارية . آرثر



في ذكرى وعد بلفور عام ١٩٢٩ ، ترتفع أعلام الحداد في القدس القديمة . ومكتوب عليها ، فلسطين عربية ،

هنري مكماهون المعتمد البريطاني في القاهرة في تلك السنوات الحاسمة في تاريخ الدولة العثمانية ؛ هو الذي تولّى مشاغلة ، وخديعة الشريف حسين أمير مكة وقائد الثورة العربية الكبرَى ؛ في ذلك الوقت .

لم يتردَّد مكماهون عن التعهد بإقامة دولة عربية واحدة بعد نهاية الحرب العالمية الأولَى وهزيمة تركيا ، وتلك كانت أمنية العرب جميعاً ومازالت .

مكماهون يحكي قصة اتصالاته بالشريف حسين ، وكذلك معرفته بالاتصالات البريطانية الفرنسية لتقسيم المنطقة في الوقت نفسه .. هو إذن مخادع عن قصد وسبق إصرار .

وشهادة مكماهون الذي كان يعرف مسبقاً ماسيجري ؛ تختلف عن شهادة إدوين مونتاجو الوزير البريطاني اليهودي العقيدة ، والذي عارض بشدة صدور أي وعد يضمن إقامة دولة صهيونية في فلسطين ، لكن الوزراء البريطانيين الآخرين ؛ ولم يكونوا يهوداً ؛ استطاعوا إرضاءه بتغيير بعض الكلمات في البيان ؛ وهو تغيير لم يقطع الطريق على إقامة الكيان الصهيوني ؛ وإن كان البيان لاينص عليه صراحة .

مونتاجو ؛ وزير الهند في الوزارة البريطانية ، أي ممثل الاستعمار البريطاني في تلك القارة ؛ لم يستطع أن يكتم مخاوفه التي شعر بها بوصفه يهوديًا ؛ رأى في قيام دولة يهودية بداية لمشكلة تهدِّد مستقبل كل يهود العالم ؛ إذْ تشكك في ولائهم لأوطانهم الأصلية ، وكذلك تخلق (جيتو) عالميًا لليهود ، مُحاطاً بالعداء الأبدي .

هو – إذن – نقيض مكماهون الذي أخفَى مايقوم به ونجح ؛ في حين صرح – مونتاجو – بما يخشاه وفشل في منع حدوثه .

الشهادتان الأخرتان لِنقيضين آخرين ؛ هما حاييم وايزمن الذي أصبح – فيما بعد – أول رئيس للدولة الصهيونية ، والذي لعب الدور الأساسي في الاتصالات مع الحكومة البريطانية ؛ وكان كما يقول هو – في مذكراته – يرتدي قناعاً لكل مناسبة ؛ أي هو يكذب في سبيل تحقيق أهدافه . والشاهد الثاني نقيض وايزمن هو الشريف حسين بن علي الذي دفعته أحلامه وطموحاته ومعاناة أسرته من القمع التركي إلى أن يتولّى قيادة القوَى العربية المناهضة للحكم التركي ، فالتقَى في هذا الطريق عَدُوًّا آخر للأتراك هو الحكومة البريطانية التي كانت قواتها تحتل مصر والهند في ذلك الوقت ، وتطمع في توسيع رقعة نفوذها في الشرق ، وتعمل على تحطيم الدولة العثمانية ، وتقسيم المنطقة إلى دول ودويلات ... وإذ أخفت بريطانيا مخططاتها ، وقدَّر الشريف حسين أن زوال الحكم التركي يمكن أن يفتح الباب أمام قيام دولة عربية ؛ بل وخلافة إسلامية عربية أيضاً ؛ فقد وقَع الشريف حسين في شباك الخديعة التي نصبها له مكماهون بوعود كاذبة وخديعة مقصودة .

أما الشهادة الخامسة ، فهي شهادة فلسطين التي كانت الضحية الأولى لوعد بلفور ، ولمخطط التقسيم الاستعماري . ولئن كان الشهود الآخرون قد رحلوا من الدنيا واستمرت أعمالهم وآثارها ؛ فإن فلسطين ماتزال باقية بشعبها ؛ برغم كل محاولات الإذابة والتهويد والتشريد .

ومايزال الشعب العربي الفلسطيني يسجل كل يوم جديداً في شهادته حول وعد بلفور ، وستظل

شهادة الشعب العربي الفلسطيني هذه يرويها الشهيد تلو الشهيد حتى يُسقط الكيان الصهيوني ، ويدفع وعد بلفور وآثاره إلى إحدَى صفحات التاريخ الماضي ، كما سبق أن فعلت الأمة العربية بكل تاريخ غزاتها .

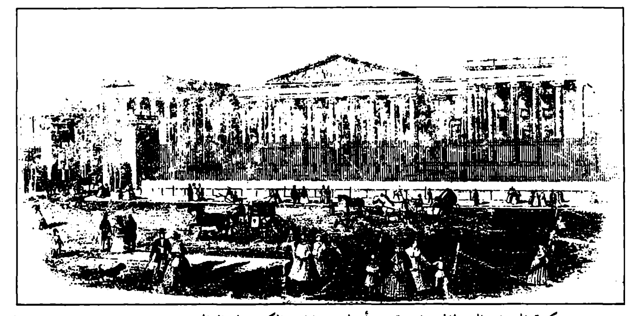
ولئن كانت الشهادات الأربع الأولَى - في هذا الكتاب - تدور حول وعد بلفور والظروف التي صدر فيها ، وماسبقه ولحقه من مؤامرات استعمارية على الأمة العربية كلها وعلى فلسطين بخاصة ؛ فإن الشهادة الفلسطينية تدور حول مواجهة هذا الوعد المؤامرة ، وهي مواجهة لاتزال مستمرة ، وشهادة يكتبها آلاف الشهداء بدمائهم .. ويكفي أنه عبر أكثر من سبعين عاماً لم يتوقف الشعب العربي الفلسطيني ، والأمة العربية كلها عن التذكير بوعد بلفور وآثاره ؛ لكي لا ينسَى أحد أن اغتصاب فلسطين وتشريد أهلها إنما هو اغتصاب لجزء من الوطن العربي وتشتيت لصفوف الأمة العربية .

ولقد تحول يوم الثاني من نوفمبر (تشرين الثاني) من يوم ذكرَى وعد بلفور - الذي يحتفل به الصهاينة ويتظاهر فيه العرب احتجاجاً - إلى يوم يخاف فيه الصهاينة ويستنفرون قواتهم استعداداً للشكل الجديد من الاحتفال العربي بهذا اليوم .. الثورة .. وبالثورة يتمّ دفن وعد بلفور ومترتباته كلها .

ودار الفتَى العربي تعتزُ بتقديم هذا الكتاب على هذا الشكل الذي يجسِّد أمام القرَّاء ظروف وعد بلفور ومترتباته ؛ على أمل ذلك اليوم الذي تتم فيه إزالته وإزالة آثاره .. يوم النصر .

دار الفتَى العربي

الوعد الصهيوني في المتحف البريطاني



المتحف البريطاني في لندن الذي تضم مكتبته ضمن الوثائق المهمة ، وعد بلفور ، المشئوم

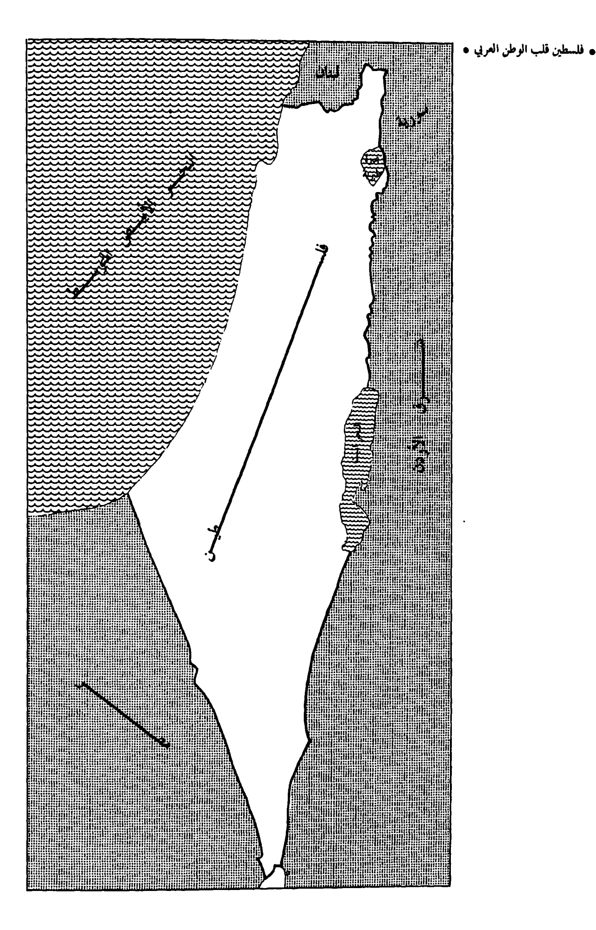
مكتبة المتحف البريطاني واحدة من أعظم خزانات الكتب في العالم ، ومن الوثائق المحفوظة في هذه المكتبة ؛ الوثيقة التي عرفت باسم (وعد بلفور) ؛ وهي رسالة صادرة عن وزارة الخارجية البريطانية في الثاني من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ ، ومرسلة إلى البارون ليونيل فالتر روتشيلد . وقد وقّع على هذه الرسالة – نيابة عن مجلس الوزراء البريطاني – آرثر جيمس بلفور وزير الخارجية البريطانية .

وقصة وعد بلفور هي قصة الصهيونية في مرحلة من مراحلها . وهي قصة حلقة من حلقات المؤامرة الاستعمارية لتمزيق الوطن العربي ، ومنح قطر منه – هو فلسطين – للصهاينة ؛ يقيمون على أرضه (دولة حاجزة) تحول بين وحدة المشرق العربي والمغرب العربي .

* * *

وفي هذا الكتاب يروي أربعة شهود قصة هذه المؤامرة :

● فلسطين قلب الوطن العربي ●



★ فيتحدث السير هنري مكماهون ــ المعتمد البريطاني في مصر عام ١٩١٥ – عن الظروف التي أحاطت ببريطانيا في الحرب العالمية الأولَى ، وجعلتها تفكر في مستقبل الوطن العربي بعد الحرب ، وتسعَى للتفاهم مع حلفائها ومنافسيها حول اقتسامه .

★ ويقصُ حاييم وايزمن – أول رئيس للدولة الصهيونية – الدور الذي قام به ؛ حتى استطاع الحصول على وعد – من وزير الخارجية البريطانية بلفور – بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

★ ويروي إدوين صموئيل مونتاجو – وزير شؤون الهند في وزارة لويد جورج – كيف ولماذا عارض اليهود البريطانيون غير الصهاينة – وهو منهم – صدور هذا الوعد .

★ ويشهد الشريف حسين بن علي – ملك الحجاز – على خديعة الحلفاء – وعلى رأسهم بريطانيا – للعرب ؛ حين وعدتهم بالاستقلال ، ثم وعدت فرنسا في اتفاقية (سايكس – بيكو) بمنحها جزءاً من أقطارهم ، ووعدت اليهود بالقسم الآخر .

وهي قصة طويلة .. للوعد الذي غير تاريخ الوطن العربي ؛ برغم أنه لايزيد على مئة كلمة ، ترقد الآن بين محفوظات مكتبة المتحف البريطاني .



آرثر هنري مكماهون

ثلاثة وعود متناقضة في ثلاثة أعوام

شهادة آرثر هنري مكماهون

آرثر هنري مكماهون
(١٨٦٢ - ١٩٢٠)
سياسي وعسكري بريطاني من أصل أيرلندي .
ولد في لندن ، والتحق بالجيش عام ١٨٨٣ .
عمل في أفغانستان ، وإيران ، والهند .
عين معتمداً بريطانيًا على مصر سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ .
كان مندوباً بريطانياً لشؤون الشرق الأوسط في مؤتمر الصلح بباريس عام ١٩١٩ .

أنا آرثر هنري مكماهون (Arthur Henry McMahon) .

وُلِدْتُ في بريطانيا عام ١٨٦٢ . وفي الحادية والعشرين من عمري ، التحقت بالجيش البريطاني ، ونِلْتُ شرف العمل في خدمته ، وقضيت معظم سنوات حياتي العسكرية والسياسية في الشرق الأقصَى ؛ أرعَى مصالح وطني ومستعمراته ، وأتابع عن قرب الصراع بيننا وبين فرنسا وروسيا وألمانيا في تلك المنطقة المهمة من العالم .

وعلى كثرة المشاكل التي واجهتني خلال عملي بالهند ؛ فقد كانت أسهل بكثير من تلك التي كان عليَّ أن أواجهها ، عندما عُيِّنتُ معتمداً بريطانيًّا في مصر . فمنذ وصولي إلى القاهرة ؛ وجدت نفسي طرفاً في القضية العربية ، واكتشفت - بعد قليل - أنها واحدة من أكبر مشاكلنا ؛ فبذلت كل جهدي لكي أخدم العَلَم البريطاني الذي أقسمت على الولاء له ، وضمنت لبريطانيا وجوداً حقيقيًّا في منطقة من أهم مناطق العالم ، وهو أمر لا ينجح فيه رجل ناقص الخبرة ، أو قليل المعرفة ؛ كما قال بعض خصومي من السياسيين البريطانيين .

ولستُ أريد هنا أن أدافع عن نفسي ، لكني أود أن أشرح الظروف التي أحاطت بنا خلال الحرب العالمية الأولَى ، وأثّرت في رسم سياستنا تجاه الأقطار العربية التي كانت تحت السيادة التركية ؛ وهي سياسة قُمْتُ بالخطوة الأولَى فيها ؛ حين تبادلت مع الشريف حسين - أمير مكة - مجموعة من الرسائل ؛ كانت محلّ جدل ونقاش وخلاف بعد الحرب .

كنت في الهند ؛ عندما نشبت الحرب العالمية الأولَى . وقد أدركت - من الفور - أن إمبراطوريتنا في خطر ، وأن بريطانيا ستكون مضطرَّة للحرب على جبهات متعددة . لم يكن علينا أن نحارب - فحسب - أعداءنا الألمان والنمساويين ؛ بل كان علينا أيضاً أن نتنبه لأطماع حلفائنا الفرنسيين



هوراشيو هربرت كتشنر
(١٨٥٠ - ١٩١٦)

قائد عسكري وسياسي بريطاني .

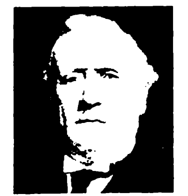
كان أحد الضباط البريطانيين الذين دخلوا الجيش المصري بعد الاحتلال عام ١٨٨٣ .

عين حاكماً للسودان الشرقي (١٨٨٦ - ١٨٨٨) .

عين قائداً للجيش المصري عام ١٨٩٢ . وقمع الثورة المهدية في السودان . وعين حاكماً عاماً له .

عين قنصلاً عاما بمصر (١٩١١ - ١٩١٤) .

عين وزيراً للحربية البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولى .



هربرت أسكويث
رئيس وزراء بريطانيا

قوات كتشنر في منطقة الكرنك تستعد للتوجه إلى الخرطوم لقمع ثورة المهدي

والروس . كانت التجربة قد علمتني أن أي تحالف بين دول أوربا هو تحالف مؤقت ؛ من أجل هدف محدد . وكنت أثق بأن الخلاف سينشب بين الحلفاء ؛ بمجرد أن تنتهي الحرب حين يجيء أوان توزيع المكاسب ، واقتسام المستعمرات . ولم أستبعد أن يلجأ بعض حلفائنا للمؤامرات والدسائس - حتى أثناء الحرب - ليضمنوا لأنفسهم نصيباً أكبر من غنائمها .

ومع أن التفكير في تلك الأمور قد شغلني بعض الوقت ؛ فإنه لم يصبح همِّي المُلِحَّ إلا عندما صدر قرار بتعييني معتمداً بريطانيًّا في مصر ؛ بعد أسابيع قليلة من نشوب الحرب . وشاء حظي أن أخلف - في هذا المنصب - قائداً بريطانيًّا شهيراً هو اللورد كتشنر (Lord Horatio Herbert Kitchener) . وكان اللورد يقضي عطلته السنوية في بريطانيا ؛ عندما نشبت الحرب ؛ فأسرع بالمغادرة متجهاً إلى القاهرة . لكن رئيس الوزراء أسكويث (Asquith) طلب إليه العودة ليتولَّى منصب وزير الحربية .

وعندما صدر قرار وزارة الخارجية البريطانية بأن أخلف كتشنر في منصبه ؛ آثرت أن ألتقي به قبل أن أقوم بأي شيء آخر . ولم يَكَدْ يَمُرُّ وقت قصير على لقائنا ؛ حتى أدركت أنني أمام رجل يفهم مصالح بريطانيا ، ويحرص عليها . وقد حضر اجتماعنا السكرتير الشرقي لدار الاعتماد البريطاني في القاهرة السير رونالد ستورز (Sir Ronald Storrs) . ومع أن كتشنر كان مشغولاً بشؤون الجيش ؛ فإنه أعطانا وقتاً طويلاً ، وعرض أفكاره



المعتمدية البريطانية في القاهرة

بساطة ، واستعان في توضيح بعض مايقول بخريطة ضخمة للإمبراطورية العثمانية .

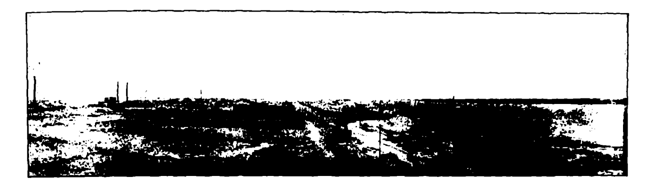
قال كتشنر ؛ وهو يشعل غليونه ، وينظر إلى المطر الذي كان يتساقط بغزارة على نوافذ مكتبه بوزارة الحرب : « إن مشكلة الحرب الآن هي تركيا ، ومن وجهة النظر العسكرية والسياسية ؛ فإن الحلفاء يستطيعون الانتصار ؛ لو ضمنوا أن تركيا لن تدخل الحرب في صفّ الألمان » .

صمت كتشنر برهة ؛ فقلت لكي أكسر حاجز الصمت : « لكن الأتراك أعلنوا وقوفهم على الحياد .. وصدر بيان بذلك فعلاً » .

لاحت ابتسامة خفيفة على وجه كتشنر العسكري الصارم ، وقال : « أنت تعلم أن الألمان يسيطرون على كل شيء في تركيا ؛ الاقتصاد ، والمواصلات ، والحكومة ، وحتى الجيش . والحياد الذي أعلنته تركيا لم يخدعنا أو يخدع أحداً من حلفائنا ، والشيء المؤكد أن دخول الأتراك الحرب ضدنا مسألة وقت » .

المعتمد البريطاني

كان ممثل بريطانيا في مصر يحمل لقب (قنصل بريطانيا العام) ؛ حتى وقع الاحتلال البريطاني ؛ فأصبح اسمه (المعتمد البريطاني) . وبعد صدور تصريح فبراير (شباط) ١٩٢٢ الذي منح مصر استقلالاً ذاتيًّا ؛ أصبح يطلق عليه (المندوب السامي البريطاني) . وبعد انسحاب الجيش البريطاني من المدن إلى منطقة قناة السويس تطبيقا لمعاهدة ١٩٣٦ – حمل ممثل بريطانيا لقب (السفير) .



ميناء عبدان في إيران ، حيث أقامت شركة البترول الإيرانية البريطانية أكبر مصفاة للنفط في العالم ، عام ١٩١٣ .

وتحرك كتشنر من مقعده ، وقال وهو يشير إلى الخريطة بمؤشر في يده : « إن دخول الأتراك الحرب كارثة ينبغي أن نحسب لها كل حساب ؛ فهم يسيطرون على العراق والشام وشبه الجزيرة العربية ، ويهددون حقول النفط التي تملكها الشركة الإنجليزية – الإيرانية على رأس الخليج العربي ، ويحرمون غواصاتنا من الوقود ، ووجودهم في شبه الجزيرة العربية يهدد شاطئ البحر الأحمر ، وسيطرتهم على الشام تسهل وصولهم إلى قناة السويس عبر فلسطين وصحراء سيناء . ومعنَى ذلك كله أنهم يستطيعون حصارنا ، والقضاء على قوتنا البحرية ، وقطع شرايين مواصلاتنا » .

واستدار كتشنر عائداً إلى المنضدة الصغيرة التي تحلَّقنا حولها . كانت الأفكار التي عرضها من البساطة ؛ بحيث دهشت لأنها لم ترِدْ في رأسي قبل ذلك . وأدركت أنني كنت أنظر إلى الوجه الآخر من الصورة ؛ فمعظم القسم العربي من الإمبراطورية التركية كان قد وقع بين أيدي الأوربيين ؛ فاحتل الفرنسيون الجزائر عام ١٨٣٠ ، ثم تونس عام ١٨٨١ ، واستولينا نحن على السودان عام ١٨٩٩ ، وأخذ الإيطاليون ليبيا سنة ١٩١١ . لكن ذلك – في رأي كتشنر – لم يكن كافياً ؛ لكي نطمئن على سير الحرب .

وحين ذكرت له أن وجود الحلفاء – في كل تلك الأقطار – يمكن أن يوازن الأخطار التي قد تأتي من العراق وسورية وشبه الجزيرة العربية ؛ قال : « لاتَنْسَ أن كل الأقطار التي استولَى عليها الحلفاء مازالت تحت السيادة الاسمية لسلطان تركيا ؛ وهو في الوقت ذاته خليفة المسلمين . ويوم يدخل الأتراك الحرب ؛ سيعلن الخليفة الجهاد المقدس ضدنا ؛ فيثور العرب المسلمون في تلك الأقطار ، ونتلقَّى مدافع الألمان بصدورنا ، وسيوف العرب في ظهورنا » .

وفي نهاية المقابلة ؛ قال لي كتشنر : « سوف يكون للمعتمد

شركة البترول الإيرانية البريطانية

شركة بريطانية لتكرير ونقل النفط ، أُسست عام ١٩٠٩ في مدينة عَبَدَان الإيرانية على شاطئ الخليج العربي .

كانت واحدة من أكبر مراكز ضَخ النفط في العالم ، وكانت تنقل ٥٠٠ ألف برميل في اليوم .

نقل الزعيم الإيراني محمد مصدق ملكيتها للدولة عام ١٩٥٠ ، وتوقفت ثلاث سنوات عن الضخ حتى تولت مجموعة شركات عالمية استغلالها من جديد عام ١٩٥٤ .

البريطاني في القاهرة دور مهم في تأمين مصالح بريطانيا . والنقطة الأساسية في ذلك ؛ هي حرمان الأتراك من القيام بدور فعال في الحرب . وسوف يشرح لك ستورز مالديه من تفاصيل » .

وحين اجتمعت بعد ذلك مع ستورز ، وقرأت التقارير المتعلقة بالموضوع ؛ استطعت أن أفهم اتجاه تفكير كتشنر .

كان العرب هم المفتاح السحري لأهم مشاكل الحلفاء مع تركيا . فهم أهل البلاد التي يحتلها الأتراك ؛ فإذا ثاروا عليهم ؛ عجز الأتراك عن تهديد قناة السويس ، ولم يجد خليفتهم أذناً تصغي إليه ؛ عندما يعلن القتال المقدس ، وضمن الحلفاء الهدوء على أهم جبهاتهم .

اختار كتشنر أن يضرب تركيا من أكثر الأماكن ملاءمة لتوجيه الضربة ؛ وهي شبه الجزيرة العربية ، وعلى وجه التحديد من مكة . ومع أن شبه الجزيرة كانت تابعة لتركيا ؛ فإن أمير مكة – الشريف حسين بن علي – كان نمطاً مختلفاً عن بقية حكام شبه الجزيرة ؛ إذ كان يسيطر على قبائل قوية جعلت له استقلالاً شبه ذاتي . وكان موقعه من الناحية العسكرية والسياسية بالغ الأهمية ؛ فهو يقف بجيشه القبلي وسط القوات التركية في شبه الجزيرة العربية ؛ فيستطيع أن يضرب قلبها ، ويقطع خطوط مواصلاتها ، ويمنعها من أي محاولة للهجوم على قوات بريطانيا في مصر . وله فوق هذا مكانة فريدة في العالم الإسلامي ؛ فهو حفيد نبي المسلمين ، وهو القيِّم على الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة والمدينة .

ومن حسن الحظ أن الابن الأوسط للشريف حسين – الأمير عبدالله – كان معجباً إلى حدّ ما بالسياسة البريطانية . وقبل الحرب بعدة أشهر ؛ وصل الأمير إلى القاهرة في طريقه إلى إستانبول ؛ حيث كان يمثل إمارة مكة في مجلس المبعوثان (النواب) التركي ، وزار اللورد كتشنر – المعتمد البريطاني وقتها – للتحية . لكن الزيارة كشفت عن اتجاه جديد في تفكير الأمير .

وصف عبدالله لكتشنر العلاقات السيئة بين والده وبين الأتراك ، وألمح إلى أن الثورة ضدهم قد تنشب في أي وقت ؛ إذا عزل الأتراك والده . وأشار من طرف خفي إلى أن ذلك يتوقف على مدَى المساعدة التي تقدمها بريطانيا للشريف ؛ لكي يثور ضد الأتراك .

ولم يتكلم كتشنر ، واستكمل عبدالله – في اليوم التالي – مناقشاته



رونالد ستورز
(١٨٨١ - ١٩٥٠)
سياسي بريطاني درس في بريطانيا ، وتعلم اللغة العربية .
عمل موظفاً بوزارة المالية المصرية عام ١٩٠٩ ، ثم سكرتيراً شرقيًا لدار الاعتماد البريطاني في مصر
عين إبان الحرب العالمية الأولى ضابط اتصال في بغداد .
انتقل إلى وزارة الحرب البريطانية عام ١٩١٧ ، وعين حاكماً عسكريًا للقدس .
كان عضواً في عدة هيئات بريطانية عربية ؛ منها الغرفة التجارية البريطانية المصرية ، ولجنة حفظ الآثار العربية بالقاهرة ، وهيئة التنقيب الفلسطينية .
عين حاكماً لقبرص عام ١٩٢٦ .



ضباط اتراك والمان في القدس

مع السير رونالد ستورز ، لكن السكرتير الشرقي لدار الاعتماد ظل متحفظاً ؛ فلم يكن قد جَدَّ شيء بعد ؛ يتطلب تغيير سياستنا تجاه تركيا .

وفي الأسابيع الأولَى لنشوب الحرب ؛ تحركت الفكرة من جديد . فكتب ستورز رسالة للأمير عبدالله ؛ ذكَّره فيها بلقائهما في بداية العام بالقاهرة ، وما دار بينهما من نقاش . وفي نهاية الرسالة ؛ طلب ستورز أن يعرف موقف شريف مكة إذا دخلت تركيا الحرب ؛ هل يقف في صفّها ، أم يناصر بريطانيا العظمَى ؟

لم يكن ردُّ الأمير عبدالله على رسالة ستورز مشجعاً ؛ فقد قال إن الشريف حسين راغب في الوصول إلى تفاهم مع بريطانيا العظمَى ، ولكنه مع ذلك مضطر للوقوف على الحياد ؛ لأنه لايستطيع أن يخرج علناً على الخليفة التركي ؛ بسبب مركزه الديني ؛ باعتباره أحد أحفاد الرسول ﷺ.

فرض عين

الفرض في الشريعة الإسلامية هو السلوك الواجب الاتباع بتعليمات القرآن ، وفرض العين هو الفرض الذي يجب أن يؤديه كل مسلم .

وفهم ستورز أن الشريف حسين يبدي استعداداً للتعاون ، لكنه يسأل عن الشروط . وهنا تدخل اللورد كتشنر وزير الحربية البريطانية ؛

فأرسل تعهُداً بريطانيًا يضمن للشريف حسين حكم مكة ، واحتفاظه بجميع حقوق هذا المنصب وامتيازاته ، وتعهدت بريطانيا بحمايته من كل اعتداء خارجي ؛ في حالة وقوفه وأتباعه إلى جانبنا ضد الأتراك . وختم كتشنر رسالته بتلميح يشير إلى أن بريطانيا ستؤيد الشريف حسين ؛ إذا رُشّح خليفة للعرب المسلمين .



كانت وعود كتشنر مؤثرة ؛ أخرجت الشريف حسين عن تحفظه . وأسرع ابنه الأمير عبدالله بالكتابة لستورز ؛ مؤكداً أن الشريف سيثور على الأتراك ، لكنه لايستطيع القيام بأي عمل عدائي ضدهم قبل أن يستكمل استعداداته . وطلب إمهاله بعض الوقت لكي يتبين الموقف ، ويجمع قواته .

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٤ ؛ دخلت تركيا الحرب ، وحدث ما كنا نخشاه ؛ إذ أصدر شيخ الإسلام التركي فتوى ؛ أعلن فيها أن الجهاد قد أصبح (فرض عين) على جميع المسلمين الذين يعيشون تحت حكم بريطانيا العظمَى وفرنسا وروسيا ، وأن عليهم أن يتَّحِدوا لمقاومة هذه الدول الثلاث عدوة الإسلام ، وأن يحاربوها ويحاربوا حلفاءها . وعبر الحدود ؛ تسللت ملايين المنشورات التي تحمل هذه الفتوَى إلى المسلمين في مصر ، والسودان ، والبلاد الإفريقية الأخرَى .



(١٨٦١ - ١٩٣٥)
قائد عسكري ، وسياسي بريطاني .
كان قائداً للجيش المصري وحاكماً عاماً للسودان (١٨٩٩ - ١٩١٦) .
رأس أركان العمليات الحربية في الحجاز (١٩١٦ - ١٩١٩) .
عين مندوباً سامياً على مصر (١٩١٧ - ١٩١٩) .

وعندما تسلمت مهام منصبي في يناير (كانون الثاني) ١٩١٥ ؛ كانت الاتصالات بين ستورز وعبدالله قد توقَّفت . وكان ستورز مشغولاً بالتفاوض مع الزعماء العرب المقيمين في مصر ، وفي مقدمتهم عزيز علي المصري ، والشيخ رشيد رضا . وكان السير رجنالد ونجت (Sir Regnald Wingate) - الحاكم البريطاني للسودان - يتباحث مع الزعماء المسلمين هناك .

كان الموضوع - في كل تلك المباحثات - هو محاولة إقناع العرب بأن مستقبلهم رهن بالتحالف مع بريطانيا . وبعد أن درس الزعماء العرب رسائل كتشنر للشريف حسين ؛ أعلنوا أنها غير كافية ، وطالبوا بضمانات تكفل استقلال دولة عربية أوسع نطاقاً من إمارة مكة ؛ قبل أن يقوموا بأي شيء ضد الأتراك .

وكان لابد لنا أن نواجه الموقف ؛ فكلفني مجلس الوزراء البريطاني بإصدار بيان عام يهدئ مخاوف المسلمين . وقد قلتُ - في بياني هذا - إن

بريطانيا العظمَى تتعهد بأن ينص أحد بنود معاهدة الصلح على الاعتراف بشبه جزيرة العرب دولة مستقلة ذات سيادة تامة على أماكن المسلمين المقدسة . وأشرت في بياني إلى أن الحكومة البريطانية على استعداد للترحيب بقيام خلافة عربية .

نشرت بياني في أوائل شهر يونيو (حزيران) ١٩١٥ ، وطبع في منشورات وُزِّعت بأعداد كبيرة في جميع أنحاء مصر والسودان ، وهُرِّب بعضها إلى الشام ، وألقت الطائرات البريطانية عشرات الآلاف من نسخه على مدن الجزيرة العربية .

كان بياني خطوة أخرَى إلى الأمام ؛ بعد التعهدات التي أرسلها كتشنر للشريف حسين ، ووعده فيها بحماية إمارة مكة من أي اعتداء خارجي . فقد وعدتُ في البيان الجديد بأن تعترف بريطانيا بقيام دولة مستقلة في جزيرة العرب كلها وبتأمين سلامتها . لكن ذلك لم يُرْضِ العرب ، وقالوا إن التعهد الذي قدمناه لايشمل استقلال بلاد الشام والعراق ، واقتصر على شبه جزيرة العرب وحدها .

... ...

مضت سبعة شهور ؛ قبل أن يستأنف الشريف حسين مراسلاته معنا ، وكنت قلقاً لانقطاع اتصالاته ، ولم أدرك السر في انقطاعها إلا بعد ذلك بوقت طويل . وحين وصلت إليَّ أولَى رسائله مع الشيخ محمد عارف - وهو أحد العلماء الذين يثق بهم الشريف - أدركت أن تغيراً مهمًّا قد حدث في أفكار أمير مكة ، وأن مطالبه قد تجاوزت حدود إمارة مكة ؛ ليطالب بدولة عربية تضم المشرق العربي كله .

لم تكن المذكرة مؤرخة ؛ بل لم يكن عليها أي توقيع ؛ مبالغة في الحرص . وقد بدأت بمقدمة تؤكد تصميم الأمة العربية على نيل استقلالها السياسي ، وتعرب عن اعتقاد العرب بأن المصالح بينهم وبين بريطانيا متبادلة ، ثم أخذت المذكرة تعدِّد الشروط التي يتمسك بها الحسين لكي يستطيع أن يشترك باسم الأمة العربية في حلف مع بريطانيا العظمَى لتحقيق تلك الغاية ، وكان على رأسها :

■ أن تساعد بريطانيا في استقلال دولة عربية - رسمت المذكرة حدودها بدقَّة - تضم العراق ، والشام (سوريَة ولبنان وفلسطين) ، وشبه الجزيرة

العربية .

■ وأن تضمن إلغاء جميع الامتيازات الأجنبية التي منحت للأجانب بمقتضَى نظام الامتيازات الأجنبية في كل أرض الدولة الجديدة .

وقال الشريف في رسالته إن العرب يتعهدون - في مقابل ذلك - بعقد معاهدة دفاعية بين الدولة المستقلة وبريطانيا ، ويتعهدون بتقديمها على غيرها في المشروعات الاقتصادية التي تتطلب خبرة أجنبية .

وحين تأملت الخريطة ؛ أدركت أن المساحة التي يطالب العرب بها أوسع ممَّا تستطيع بريطانيا أن تستغني عنه . فنحن لم ندخل الحرب لكي نمنح العرب الاستقلال ، لكننا دخلناها لكي نحمي مستعمراتنا من مطامع الألمان والنمساويين . وقد كنا على استعداد لمنح الشريف حسين استقلالاً في حدود إمارة مكة ، أو حتى شبه الجزيرة العربية كلها ، أما أن نمنح الاستقلال لدولة عربية تضم العراق والشام وشبه الجزيرة ؛ فمعنَى هذا أننا نضع بذور دولة أكبر من دولة محمد علي ؛ ستكون خطراً على مصالحنا أضعاف ما كان .

وفي ٣٠ أغسطس (آب) ١٩١٥ ؛ أرسلت ردِّي إلى الشريف حسين ، وقد صغته في أسلوب مرن ، لم يتضمن ردًّا صريحاً بالقبول أو الرفض ، واكتفيتُ بأن كررت التعهدات العامة التي تعهد بها اللورد كتشنر - من قبل - للشريف حسين . وهربت تماماً من الالتزام الذي أراد الحسين أن نتعهد به ؛ وهو تحديد حدود الدولة العربية التي تتعهد بريطانيا بمنحها الاستقلال .

وجاء رد الشريف حسين على رسالتي قاطعاً ؛ فقد تمسك بمسألة الحدود ، واعتبرها كل شيء . وقال إن اقتراحه الخاص - بتحديد حدود المنطقة العربية المستقلة - قد قوبل بغموض وبرود وتردد . وأكد أن المقترحات ليست صادرة عنه وحده ، لكنها مقترحات شعب بأسره . وختم رسالته مؤكداً أن قضية الحدود يجب أن تُعتبَر مسألة أساسية ؛ إذ إن الشعب العربي كله يعتبرها أساس أي اتفاق ، وأن نتيجة المفاوضات معي متوقفة على موافقتي أو رفضي لقضية الحدود المقترحة .

وضعني رد الشريف حسين في مأزق حرج ؛ فقد خيَّرني بين الموافقة الواضحة أو الرفض الصريح ، وهو ما لم تكن مصالح بريطانيا تسمح به . فلم نكن نستطيع أن نوافق على مايطالب به الشريف ؛ فنحن في حاجة

للعراق ، والفرنسيون يريدون الشام .

ولم تكن لدينا معلومات كافية حول قوة الشريف ، وكان ستورز يرَى أن ما يستطيع الرجل أن يفعله للحلفاء قليل ، وأن نفوذه قاصر على شبه الجزيرة العربية ؛ فلماذا يطالب بالشام والعراق ؟

وقبل أن أرد على الرسالة اكتشفت سرَّ انقطاع الاتصال بيننا وبين الشريف حسين سبعة شهور ، وعرفت لماذا تشدَّد في مطالبه .

أسَرَ رجالنا ضابطاً عراقيًّا اسمه محمد شريف الفاروقي ؛ كان قد تسلل عبر الحدود . وخلال التحقيق معه ؛ عرفنا أنه تعمَّد تسليم نفسه ؛ لأنه من أعضاء (جمعية العهد) ؛ وهي الجناح العسكري لجمعية (العربية الفتاة) التي اتخذت دمشق مقرًّا لها .

وكانت (العربية الفتاة) واحدة من أكبر الجمعيات القومية التي تعمل من أجل استقلال العرب عن تركيا ؛ تضم مدنيين من الشام والعراق ومصر . وكان لها جناح عسكري يضم الضباط العرب في الجيش التركي ؛ وخاصة في الحامية التركية التي ترابط في دمشق .

وعلمنا من الفاروقي أن الجمعية أرسلت - في بداية الحرب - رسولاً إلى شريف مكة ؛ أنبأه بأن دمشق مركز لحركة ثورية قومية تضم الشام والعراق ، ويقف في صفِّها عدد كبير من الضباط العرب في الجيش التركي ، وأنها تطلب موافقة الشريف حسين على قيادتها وتزعُّمها ، وتستأذنه في أن يستقبل وفداً من الجمعية في مكة ، أو أن يرسل إلى دمشق مندوبين عنه للاتفاق على مراحل التنفيذ .

أرسل الشريف حسين ابنه الأكبر الأمير فيصل إلى دمشق ؛ فاجتمع بممثلي جمعية (العربية الفتاة) ، وشرحوا له أهدافهم ؛ فقالوا إنهم يدبِّرون للثورة على الأتراك ، وإعلان الاستقلال عن تركيا . وكشفوا لفيصل عن أن ضباط القسم العسكري للجمعية سيقودون جنودهم العرب في الوقت الذي يحدده قائد الثورة ؛ فينقضُّون على قوات الاحتلال التركي ، ويعلنون الاستقلال .

وعرض الأمير فيصل - في تلك الاجتماعات - اتصالات ستورز بأخيه الأمير عبدالله ، وشرح الوعود التي قدمها كتشنر لوالده . لكن زعماء (العربية الفتاة) رفضوا قبول العروض البريطانية ، وقالوا إنها أقل بكثير ممَّا يريدون ، ووضعوا ميثاقاً بالشروط التي يطالبون بها لكي يقفوا

جمعية (العربية الفتاة)

جمعية عربية سرية تعرف بـ (الفتاة) .
أسست في باريس عام ١٩١١ ؛ بهدف العمل من أجل استقلال العرب ، وتحريرهم من الحكم العثماني وكل أنواع الحكم الأجنبي .

كانت أول جمعية تطالب بالاستقلال الكامل ، وليس الحكم الذاتي للعرب ضمن الإمبراطورية .

انتقل مقرها إلى بيروت ثم إلى دمشق عام ١٩١٣ .

جمعية (حزب) العهد

حزب سياسي عربي ؛ أسسه الفريق عزيز علي المصري في مدينة إستانبول ، وكان يضم العسكريين العرب في الجيش العثماني .

كانت أهدافه : الاستقلال الداخلي ، وتشكيل جيش عربي ، وأن تكون لغة الجيش هي العربية .

تزعم كثير من أعضائه السابقين قيادة العمليات العسكرية في الحجاز وسورية والعراق .



الأمير فيصل عند مغادرته فندق فيكتوريا في دمشق بعد مقابلة أللنبي في أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩١٨

معنا ضد تركيا ؛ عُرِف فيما بعد بـ (ميثاق دمشق) .

وكان هذا الميثاق يتضمن أربع نقاط ؛ اثنتان منها تعهدات بريطانية ، والأخريان تعهدات عربية . وحين أطلعنا الفاروقي على بنود الميثاق ، اكتشفت أنها هي نفسها التي وردت في آخر رسائل الشريف حسين لي .

وهكذا ؛ اكتشفت سرَّ توقُّف مراسلات حسين ، وعرفت لماذا تشدَّد في مطالبه ، وتحول من أمير يطلب الحفاظ على عرشه إلى ثائر يقود حركة لها فروع في دمشق وبغداد ؛ فاتسعت مطامحه وتجاوزت أحلامه حدود شبه الجزيرة لتصل إلى العراق والشام .

وكان ذلك تغيراً جوهريًا في الموقف ؛ فلم نعُدْ في حاجة إلى دفع الشريف للتمرد على الأتراك ليشغلهم عن القيام بعمل عسكري ضدنا فحسب ، لكن كان علينا أيضاً أن نحول بينه وبين التحالف مع الأتراك ، وكانت حاجتنا إلى ثورة عربية ضد الأتراك تشتد يوماً بعد يوم ؛ لأن الوضع العسكري على جبهات القتال لم يكن في صالحنا .

لم يكن هناك مفرٌّ من التعامل مع الشريف حسين في ضوء الظروف الجديدة ، والخضوع - نسبيًا - لشروطه ، ومحاولة إرضائه . ولما كانت مسألة الحدود هي العقدة التي اعترضت سير المفاوضات ؛ فقد بدأت مراسلاتي معه بالإشارة إليها .

وفي أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٥ ؛ أرسلت ردي على رسالة

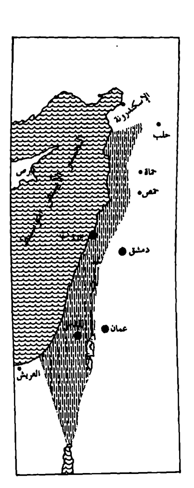
الشريف حسين ؛ ذلك الرد الذي اعتبره المؤرخون أهم وثيقة دولية في تاريخ الحركة القومية ، واستخدمه العرب للتدليل على أننا لم نحفظ عهودنا معهم .

بدأت رسالتي بأن أكدت للشريف حسين أن بريطانيا ترغب في بحث مسألة الحدود ، وأن حكومتي تتعهد بأن تعترف باستقلال العرب في المنطقة التي حددها الشريف ؛ باستثناء أجزاء معينة من آسيا الصغرى والشام ، وأنها تتعهد - أيضاً - بأن تدعم استقلال هذه الدولة . وقد أشرت أيضاً - في مذكرتي للشريف حسين - إلى أربع مسائل أخرى غير مسألة الحدود :

ــ فقد تعهدت باسم حكومتي بأن نحمي الأماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي .

ــ وأعربت - باسمها - عن استعدادها لمساعدة العرب في إقامة نظام حكم مناسب في المنطقة العربية التي ستستقل .

ــ واشترطت على العرب أن يستعينوا ببريطانيا - وحدها - في الحصول على المستشارين والموظفين الأجانب .



مناطق تمسك الشريف حسين بأن تكون جزءًا من مملكة عربية خالصة ، في حين وعدت بريطانيا بدولة عربية مستقلة خارج هذه الحدود تشمل العراق والشام وشبه الجزيرة العربية .

ـ واشترطت - أيضاً - أن يكون لولايتَي البصرة وبغداد نظام إداري خاص .

وكنت أتوقع أن يرَى الشريف حسين أننا منحنا كثيراً ، لكنه فاجأني حين ردَّ عليَّ في ٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٥ ؛ فقبل بعض التعديلات التي أدخلتُها على خريطته الأولَى ، ورفض بعضه . وأثار مشكلة جديدة ؛ فقد طلب أن تتعهد بريطانيا بعدم توقيع صلح منفرد مع الألمان أو الأتراك ؛ دون أن يكون العرب طرفا فيه ، وألا تترك العرب وحدهم - مهما تكن الأحوال - في مواجهة جيوش ألمانيا وتركيا معاً ، وأن تتعهد بالوقوف في صف العرب والدفاع عن قضيتهم في أي مفاوضات للصلح . وقد أكدت له في ردي على رسالته الثالثة أن بريطانيا لن تُبْرِم صلحاً على أسس لاتكفل حرية الشعوب العربية .

استمرت مراسلاتي مع الشريف حسين فترة طويلة ، وكان هناك ثماني رسائل أساسية - من تلك المراسلات - اتفقنا فيها على شروط التحالف . ولم تتضمن الرسائل كثيراً من الأعمال الحربية التي وعد الشريف حسين بالقيام بها ضد الأتراك ، لكن الشريف كان يعرف أن عليه أن يستخدم جميع قوته ونفوذه ؛ مع حشد جميع الموارد المالية التي يستطيعها ليهزم تركيا . وكان مفهوماً - أيضاً - أننا سنساعده ، ونكمل النقص في موارده ؛ سواء كانت سلاحاً أو ذخيرة أو مالاً .

وفي هذه الرسائل الثماني ؛ وردت كل شروط المحالفة بيننا وبين العرب ؛ فقد التزم الشريف بإعلان الثورة العربية ، والتنديد بالأتراك علناً ، ووصفهم بأنهم أعداء الإسلام . أما نحن ؛ فقد تعهدنا صراحة بتعهدين واضحين :

الأول : الاعتراف بالخلافة العربية في حالة قيامها .

والثاني : الاعتراف باستقلال العرب ضمن منطقة معينة ، وحماية هذا الاستقلال .

وأعرف أن العرب لن يقبلوا عبارة الاستقلال ضمن (حدود معينة) ، وسيسارعون ويبرزون خرائطهم ، ويقدمون نصوص المراسلات التي يزعمون أنني وافقت فيها على حدود الدولة التي وعدت بمنحها الاستقلال بعد الحرب . ولست أريد هنا أن أدخل في جدل حول النصوص ؛ لأن المسألة - منذ البداية - كانت مصالح الإمبراطورية ؛ وهي

عندي قبل أي وعد ، وفوق أي اتفاق أو تصريح .

إن أحداً لن يفهم معركة الحياة والموت التي كان على بريطانيا أن تدخلها ؛ لكي تخرج من الحرب دون أن تفقد مستعمرة من مستعمراتها أو منطقة من مناطق نفوذها ؛ إلا هؤلاء الذين قُدِّر لهم أن يكونوا على مقربة من وزارة الخارجية البريطانية ومن القيادة العسكرية لقوات الحلفاء مثلي .

وحين خُيِّل إليَّ أن كل شيء قد تم على ما يرام ؛ نبَّهتني وثائق وزارة الخارجية البريطانية إلى شيء خطير . ذلك أن تركيا لم تكن همَّنا وحدنا ، وكما جلس كتشنر يشرح لي بإفاضة أهمية أن نلعب دوراً ما لتقليل فاعلية تركيا في الحرب ؛ كانت وزارات الخارجية في الدول الحليفة لنا تفعل الشيء نفسه ، وتفكر في تركيا ، وتحلم بأن تأخذ نصيبها فيها ، وتشارك في اقتسامها بعد الحرب .

ومنذ بداية الحرب ؛ أخذ الروس يتحدثون عن رغبتهم في أخذ القسطنطينية والمضايق ، وطالب الفرنسيون بسورية . أما نحن ؛ فقد كنا في حاجة شديدة إلى طرق برية تتوفر لنا إذا أخذنا العراق . وطالب الإيطاليون بأجزاء من آسيا الصغرَى ، وكان ذلك كله يدور همساً حتى لا يستخدمه الأعداء ؛ فيثيرون شعوب تلك البلاد على الحلفاء .

دفع الاتفاق – الذي توصلت إليه مع الشريف حسين – وزارة الخارجية البريطانية لمحاولة جس نبض حلفائها ؛ حتى لا يتدهور الموقف أو تتضارب الحقوق . واقتضت الحصافة السياسية ألا تذكر وزارة الخارجية شيئاً عن اتفاقي مع الشريف حسين ؛ وخاصة أمام الفرنسيين ؛ إذ كانوا لا يكفُّون عن القول بأن لهم حقوقاً تاريخية في بلاد الشام .



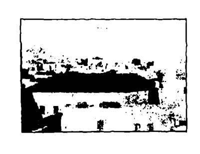
مارك سايكس

وبدأت المفاوضات حول الموضوع بين باريس ولندن . اقتصرت في البداية على بريطانيا وفرنسا . وقام مارك سايكس (Mark Sykes) – الذي كان مستشاراً لشئون الشرق الأوسط في وزارة الخارجية البريطانية – بتمثيلنا في تلك المفاوضات ، ومثَّل فرنسا المسيو جورج بيكو (George Picot) .

كانت المفاوضات عسيرة وصعبة . وكان مستحيلاً التوفيق بين ما وعدتُ به العرب في رسائلي للشريف حسين ، وبين ما تطالب به فرنسا بالذات . ولم نكن نستطيع أن نكشف كل أوراقنا ، أو أن نتجاهل حليفتنا فرنسا ؛ في الظروف الصعبة التي كانت تمرُّ بها الحرب .

أصَرَّ جورج بيكو – مندوب فرنسا – خلال المفاوضات على أن

بلاده تطلب بلاد الشام بأكملها . ولما كانت فلسطين جزءاً من الشام ؛ فقد ألحَّ الفرنسيون على أن تكون من نصيبهم . وقال بيكو : « إن الفصل بين المنطقة جغرافيًّا صعب ؛ بل يكاد يكون مستحيلاً » .



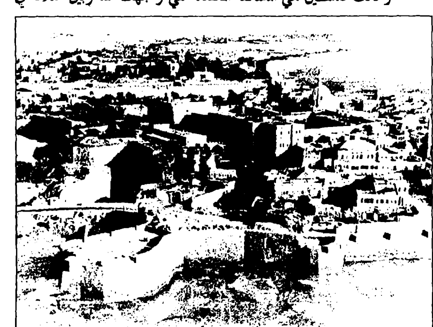
عارض سايكس بشدة ، وأعلن أن بريطانيا تريد خليج (عكا - حيفا) ليكون لنا منفذاً يصل العراق بالبحر المتوسط ؛ فتصل الأجزاء المخصصة لنا طبقاً للاتفاقية ، وقال بوضوح : « إن بريطانيا لن توافق على وجود قوات فرنسية في فلسطين على مقربة من قناة السويس » .

وعندما تعثَّرت المفاوضات ؛ سافر سايكس وبيكو إلى بطرسبرج ليجتمعا بمندوب عن وزارة الخارجية الروسية ، ويتفاوضا معه بشأن مطالب روسيا القيصرية في أملاك تركيا ، لكن المندوب الروسي جعل الموقف بالغ التعقيد ؛ فقال : « إن الكنيسة الأرثوذكسية الروسية لها مدارس وأديرة ومواقع مقدسة في أنحاء فلسطين ؛ وخاصة في الناصرة ونابلس والخليل »

وحين انتهت المفاوضات بعد مجهود عنيف ؛ اتفق المندوبون الثلاثة على أن تأخذ فرنسا القسم الأعظم من سورية ، وحصة من جنوبي الأناضول . أما حصتنا ؛ فقدْ شملت شريطاً من أقصَى جنوبي سورية عبر العراق . وهناك ينتشر الشريط كالمروحة ليشمل بغداد ، والبصرة ، وكل المنطقة الواقعة بين خليج العرب وحدود المنطقة المخصَّصة لفرنسا ؛ وهي تضم ميناءي حيفا وعكا ، وجزءًا صغيراً داخل الساحل .

وكانت فلسطين هي المشكلة المعقدة التي واجهت المندوبين الثلاثة في

عكا



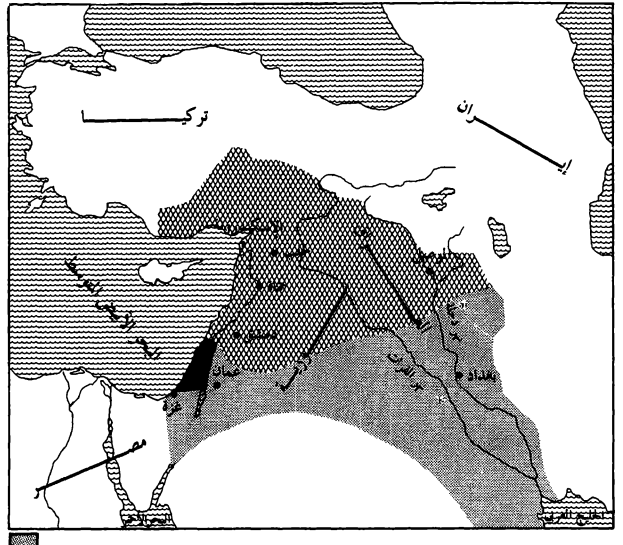


كاتدرائية الروس في القدس

المفاوضات ؛ فالفرنسيون يَرَوْنها من حقهم لأنها امتداد للشام ، ونحن نريدها لنحمي قناة السويس ، والروس يقولون بأن لهم أماكن مقدسة فيها . ولم يكن هناك حل إلا أن نشترك نحن الثلاثة فيها ؛ فوافق المندوبون الثلاثة على أن توضع تحت إدارة دولية .

وهكذا ؛ انتهت المفاوضات المجهدة ، ووقع سايكس ، وبيكو ، والمندوب الروسي المعاهدة في سرية تامة . ولم يعرف أحد شيئاً عنها إلا من يعنيهم الأمر في وزارات خارجية الدول الثلاث . ومع أن الاتفاقية قد وُقِّعت في ربيع عام ١٩١٦ ؛ فإن أحداً لم يسمع بها إلا عندما سقط الحكم القيصري في روسيا ، وأعلن الثوار انسحابهم من الحرب ، وأذاعوا نصوص الاتفاقيات السرية التي وقعها الحلفاء خلالها ؛ ومن بينها معاهدة (سايكس - بيكو) .

وعندما انتهت الحرب ؛ كنت عضواً في الوفد الذي مثَّل بريطانيا في مؤتمر الصلح ، وسمعت العرب وهم يهاجموننا ، ويتهموننا بالخديعة والكذب والنفاق ؛ لأنني وعدت الشريف حسين بأن يستقل بدولة تضم الجزيرة العربية والشام والعراق ؛ مقابل مساندتهم لنا في الحرب ؛ في الوقت الذي كان سايكس يتفاوض مع بيكو ، ويوافق على منح الشام لفرنسا . وما كاد سايكس ينتهي من ذلك ؛ حتى شارك في المفاوضات التي انتهت بصدور وعد بلفور الذي أقرَّ بحقِّ اليهود في أن يأخذوا فلسطين .



منطقة تحت النفوذ البريطاني

منطقة تحت النفوذ الفرنسي

منطقة تحت النفوذ الدولي

• خريطة تبين مناطق النفوذ التي حددتها اتفاقية سايكس ــ بيكو

وإبان انعقاد مؤتمر الصلح ؛ قال لي أحد الساسة العرب : « كيف تعطي بريطانيا ثلاثة وعود متناقضة في ثلاثة أعوام ؟ » .

لم أردَّ . كنتُ أثق بأنه لن يفهم . كانت الإمبراطورية البريطانية في خطر ؛ وقد عِشْتُ حياتي أدافع عنها ، وأحلم بالعلم البريطاني وهو يرفرف فوق مستعمراتها . ولم أكن مستعدًّا لأن أقطع على نفسي وعداً ينتهي بأن نخسر أرضاً كسبناها بالقتال . ولولا أننا فعلنا ما فعلناه لقَضَى علينا حلفاؤنا الفرنسيون ؛ إذا لم يهزمنا أعداؤنا الأتراك والألمان .

عندما طال صمتي ؛ قال الزعيم العربي دهشاً : « ماذا تتوقع أن يقول المؤرخون عنكم ؟ » .

بهدوء قلت : « أفضل أن يقولوا : هذا رجل خدم الإمبراطورية ؛ على أن يقولوا هذا رجل منح العرب استقلالهم » .



حايم وايزمن

ذلك الوعد الذي انتظرناه

شهادة حايم وايزمن

أنا حايم وايزمن (Chaim Weizmann) .

وُلِدتُ في ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٧٤ ؛ في قرية صغيرة من قرَى روسيا ؛ اسمها موتول (Motol) . ولم يكن أحد في قريتنا الصغيرة الفقيرة يتخيَّل أنني بعد أربعة وسبعين عاماً من هذا التاريخ ؛ سأكون أول رئيس لدولة إسرائيل .

كان والدي يعمل في تجارة الأخشاب في موتول ، ويحقّق من تجارته عائداً يكفي احتياجاتنا . لكننا لم نكن نشعر بالسعادة ؛ في تلك القرية الموحشة البعيدة عن العمران ؛ فلا طرق ، ولا بريد ، ولا مواصلات . والقرية نفسها لاتضم سوَى بضعة شوارع غير معبدة ؛ كان من بينها شارعان أو ثلاثة لنا نحن اليهود ؛ فقد كنا نستقلُّ بشوارعنا الخاصة لنحمي أنفسنا من الآخرين .

وعندما بلغتُ الخامسة من عمري ؛ انتقلتُ من بيت أبي إلى بيت جدي ، وكان رجلاً متديناً يحافظ على الصلاة والفروض ، وكان يقصُّ عليَّ قبل أن أنام قصص الملوك اليهود وحروبهم ، ويقصُّ عليَّ تاريخ الأنبياء . وكنتُ أتردَّد في كل صباح على مدرسة لتعليم الدين اليهودي ؛ تعلمت فيها اللغة العبرانية ، والأدب العبراني ، وعرفت الكثير عن التوراة .

وقبل أن أحتفل بعيد ميلادي الثامن ؛ سمعت أبي وكثيرين من أقربائنا وأصدقائنا اليهود ؛ يتحدثون عن قوانين أصدرتها الحكومة الروسية بشأننا ؛ عُرِفت بعد ذلك بـ (قوانين مايو / آيار) . وقد أطلقت القوانين الجديدة اسم (مناطق الاستيطان اليهودي في روسيا) على الجهات التي كنا نقيم فيها ، وحظرت على أي يهودي أن يعيش أو يمتلك أي عقار في أي مكان آخر غيرها .

ومع أنني لم أفهم كثيراً ممَّا قالوه عن تلك القوانين ؛ فإن قلق الجميع

حايم وايزمن
(١٨٧٤ - ١٩٥٢)
زعيم صهيوني .
ولد في موتول (بولندا الروسية) .
عين مديراً لمختبرات سلاح البحرية البريطانية (١٩١٦ - ١٩١٨) .
ترأس الوفد الصهيوني إلى محادثات فرساي للسلام .
ترأس المنظمة الصهيونية العالمية بين عامي ١٩١٧ و١٩٣٥ ، ورأس الوكالة اليهودية لفلسطين بين عامي ١٩٢٥ و١٩٤٥ .
كان رئيساً لمعهد وايزمن والجامعة العبرية .
تحدث باسم اليهود في جميع لجان التحقيق البريطانية والدولية التي أرسلت إلى فلسطين .
انتخب رئيساً للدولة الصهيونية عام ١٩٤٩ ، وبقي في منصبه إلى أن توفي .
كتب مذكراته عام ١٩٤٩ ، ونشرت بعنوان (التجربة والخطأ) .



بيت عائلة وايزمن في موتول حيث ولد حايم

وذعرهم واهتمامهم بالحديث عنها ؛ كان كافياً لكي أفهم أنها أضافت إلى أعبائنا عبئاً جديداً . وحين سافرت في عام ١٨٨٦ إلى مدينة بنسك لأكمل دراستي ؛ عرفت أن اليهود فيها لم يكتفوا بالحديث ، ولكنهم تحركوا لمواجهة قوانين مايو (آيار) ١٨٨٢ .

لم تكن بنسك تبعد عن موتول سوَى خمسة وعشرين كيلو متراً فقط ، لكن الحركة اليهودية فيها كانت نشيطة للغاية ، بعكس الحال في قريتنا الصغيرة التي لم يكن اليهود يفعلون فيها شيئاً ؛ سوَى الالتقاء - في بيوتهم الخشبية - للحديث والشكوَى .

وكانت جمعية (عشاق صهيون) هي محور الحركة في بنسك . وقد نشطت بعد صدور قوانين مايو (آيار) ١٨٨٢ ؛ تدعو إلى (حب صهيون) ؛ ذلك الجبل الذي يقع جنوبي غربي القدس ، والذي دُفِن فيه الملك داود ، وتنظّم عمليات الهجرة إلى فلسطين لشراء الأراضي فيها ، والاستيطان هناك ؛ فراراً من المذابح التي كان اليهود يتعرضون لها في أنحاء أوربا . وكان للجمعية أيامها فروع في ألمانيا ، والنمسا ، وبريطانيا .

أثارت عملية الهجرة اليهودية السلطان العثماني عبدالحميد الثاني ، فأصدرت حكومته قانوناً في يوليو (تموز) ١٨٨٢ ؛ حرَّم على اليهود دخول فلسطين ؛ فأصبح الطريق إليها صعباً ، لكن عشاق صهيون نجحوا - برغم ذلك - في الوصول إلى جبل صهيون . وكان اليهود في بنسك يروون همساً مغامرات الكثيرين من أصدقائهم الذين تسللوا إلى فلسطين سرًّا ؛ بمعونة بعض القناصل الأوربيين ، أو برشوة موظفي الحكومة العثمانية .

كانت السنوات الستُّ التي قضيتها في بنسك - بين ١٨٨٦ و ١٨٩٢ - ذات تأثير بالغ في حياتي ؛ ففيها تابعتُ باهتمام مشكلتنا نحن اليهود ، وتابعت البذور الأولَى لتأسيس حركة سياسية تواجه الاضطهاد الذي كنا نتعرض له . وفيها - أيضاً - أحببت علم الكيمياء ، وقررت أن أتخصص فيه ، وأهب له كل جهدي .

وحين أنهيت دراستي في بنسك ؛ كان عليَّ أن أختار الجامعة التي ألتحق بها لكي أكمل دراستي العالية ، ولم يكن ذلك الاختيار عسيراً عليَّ ؛ فقد كنت أكره روسيا القيصرية ، وكنت معتزماً منذ البداية أن أخرج منها وأتَّجه إلى الغرب . وبالفعل ذهبت إلى ألمانيا ؛ أقرب بلدان الغرب إلينا . وهناك التحقت بالجامعة ، وعملت مدرساً في مدرسة يهودية ؛ لكي أحصل



عشاق صهيون

في عام ١٨٨٢ ؛ أصدر المفكر اليهودي ليوبنسكر (Leo Pinsker) كتاباً بعنوان (الانعتاق الذاتي) ؛ ناقش فيه مشكلة اضطهاد اليهود في أوربا الشرقية وروسيا القيصرية . ودعا بنسكر اليهود للهجرة إلى فلسطين للإقامة بها ، وإنشاء مستوطنات زراعية وحرفية حتى يتخلصوا مما يلاقونه من اضطهاد .

ولقيت الفكرة ترحيباً من مجموعة من الشباب تقيم في مدينة أوديسا الروسية ؛ فأنشأوا جمعية (عشاق صهيون) ، وأخذوا يروجون لأفكار بنسكر ، وينظمون عملية هجرة اليهود الراغبين في الذهاب إلى فلسطين .

ولما كان معظم هؤلاء اليهود من الفقراء الذين لا يملكون نفقات السفر أو الإقامة ؛ انتهز المليونير اليهودي إدموند روتشيلد الفرصة ، وقام بتمويل عمليات الهجرة الأولى ، والإنفاق على إنشاء أول أربع مستوطنات استقر بها أعضاء جمعية عشاق صهيون .

ونظراً لما كان يلاقيه يهود أوربا الشرقية وروسيا من اضطهاد بالغ ؛ فقد لقيت جمعية عشاق صهيون ترحيباً من كثيرين منهم . ولكنها لم تستطع إقناع عدد كبير بالهجرة إلى فلسطين . ومع ذلك ؛ فقد ساعدت الجمعية أعداداً منهم للهجرة إلى أوربا الغربية فراراً من الاضطهاد .

وتعتبر جمعية (عشاق صهيون) أول حركة منظمة لدعوة اليهود للهجرة من بلادهم إلى فلسطين ، كما أنها كانت أول تطبيق عملي لتيار الصهيونية العملية التي تدعو اليهود للاستيلاء على فلسطين قطعة بعد أخرى ، وهو التيار الذي اقتنع به وايزمن وعمل على تطويره والاستمرار فيه .

على نفقات دراستي .

وفي عام ١٨٩٦ ؛ قرأت – وأنا في برلين – الكُتَيِّب الذي أصدره الصحفي اليهودي تيودور هرتزل (Theodor Herzl) بعنوان (الدولة اليهودية) . وكان هرتزل يكبرني بأربعة عشر عاماً ، ولم تكن مقالاته المتتالية التي نشرها في الصحف قد لفتت أنظار كثيرين من اليهود . وحتى كتيبه الصغير ذاك ؛ لم يأتِ بجديد ؛ فقد كان البحث عن حلٍّ لمشكلة اضطهادنا – نحن اليهود – يشغل بال الجميع .

ومع أن الكتيب الذي أصدره قد أحدث ضجة في صفوف اليهود ؛ فإنني لم أتحمس له كثيراً ، كما لم يتحمس له يهود روسيا . نعم ؛ إنه دعا إلى إنشاء دولة لليهود ؛ بالاتفاق بين الدول العظمَى ، لكنه لم يتمسك بـ (فلسطين) بالذات ؛ مكاناً لإقامة هذه الدولة ؛ بل ترك لليهود أنفسهم أمر اختيار الأرض التي يقيمون فوقها دولتهم ؛ إذا لم تُتِحْ لهم الظروف أخذ فلسطين . كما أنه تجاهل اللغة العبرية ، أما نحن يهود الشرق ؛ فقد كنا المبشرين بفلسطين وباللغة العبرية ، ولا شيء آخر غير فلسطين ، وغير لغة اليهود ، ودين اليهود ، وتقاليد اليهود .

ولم يكن كتاب هرتزل الصغير هو الذي نفع اليهود ؛ فأهم شيء فعله كان تحقيقه فكرة ربط يهود العالم كلهم في برلمان واحد ، وكان هذا البرلمان هو المؤتمرات اليهودية التي كان هرتزل أول من دعا إليها ، وأول من حققها . وكانت تلك المؤتمرات – التي تعقد كل عام ، ويحضرها ممثلون عن يهود العالم أجمع – هي البرلمان الذي ربط بين اليهود ؛ على اختلاف بلدانهم وتباعد ديارهم .

حاول هرتزل – في عام ١٨٩٦ – الحصول على موافقة السلطان العثماني عبدالحميد الثاني على إنشاء دولة يهودية مستقلة في فلسطين ، أو – على الأقل – إلغاء قوانين الحدِّ من هجرة اليهود إليها ؛ مقابل تزويد السلطنة بالقروض المالية . وبرغم تدهور الاقتصاد العثماني ، وحاجة السلطان الشديدة للمال ؛ فقد رفض عروض هرتزل .

وعندما فشلت محاولات هرتزل تلك ؛ بدأ يعدُّ لعقد أول مؤتمر صهيوني . وقد انعقد المؤتمر بالفعل في ٢٩ أغسطس (آب) ١٨٩٧ ؛ في مدينة بازل (Basle) السويسرية ، واشتركت أنا ووالدي في أعماله ، وانتهَى المؤتمر بإنشاء المنظمة الصهيونية العالمية ، وانتخب هرتزل أول رئيس



هرتزل وهو يغادر معبد اليهود في بازل

تيودور هرتزل

(١٨٦٠ – ١٩٠٤)

مؤسس الصهيونية السياسية الحديثة ، وأول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية .

ولد في بودابست ، وعاش في فيينا ؛ حيث مارس المحاماة والصحافة وتأليف القصص والروايات .

عقد أول مؤتمر صهيوني في عام ١٨٩٧ .

أسس الصحيفة الصهيونية الأسبوعية (دي فلت) في ألمانيا .

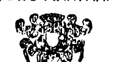
توفي في النمسا . وفي عام ١٩٤٩ نقلت بقاياه إلى القدس .



LA
REPUBLIQUE
DES
HEBREUX.

NOUVELLE EDITION.
Revûë, corrigée, augmentée de deux Volumes, contenant des Remarques Critiques sur les Antiquitez Judaïques, par Mr Basnage

TOME PREMIER



A AMSTERDAM,
Chez les Freres CHATELAIN
M DCCXIII

كتيب الدولة اليهودية لهرتزل

لها .

وكان نجاح المؤتمر ، وإنشاء المنظمة ؛ الخطوة الأولَى في بناء الحركة الصهيونية التي لولاها لما استطعنا أن نحصل - أخيراً - على فلسطين . والأهم من هذا كله أن هذا المؤتمر ، والمؤتمرات التي تَلَتْه ؛ قد فرض مصطلح (الصهيونية) على الحياة السياسية للعالم ؛ فلَمْ يَعُد الأمر مجرد عواطف يُبديها اليهود نحو فلسطين ، أو رغبة في السفر إليها للحجِّ أو الاستيطان ، لكنه أصبح شيئاً مختلفاً تماماً .

لقد نجحنا - أخيراً - في أن نقنع عدداً كبيراً من اليهود بأن يكونوا صهيونيين ، يؤمنون بأنهم أينما كانوا ، ومهما تأثروا ثقافيًّا ، ومهما انتموا سياسيًّا ، ومهما كانوا يدينون بالولاء إلى أي دولة ؛ فهم شعب واحد يختلف عن بقية الشعوب . وأنهم مهما أقاموا في بلدان العالم ؛ فهم أولاً وأخيراً غرباء ؛ ضيوف مؤقَّتون ؛ مغتربون عن بلادهم التاريخية ، وعليهم أن يجمعوا شتاتهم من جميع بقاع الأرض ، وأن يعودوا إلى حيث يرقد جسد الملك داود في جبل صِهْيَوْن .

أصبحت الصهيونية بعد هرتزل حركة سياسية ؛ وكانت قبله أحلاماً ، وأشعاراً ، وعملاً من أعمال الإحسان ، وتلك هي الأهمية العظمَى للدور الذي أدَّاه .

لكن المسألة لم تمرَّ هكذا بسهولة ؛ فقد أحاطت بنا المصاعب من كل جانب . كان هناك العرب الذين رفضوا دعوانا ؛ بأن لنا حقوقاً تاريخية في فلسطين . ومع أنهم لم يتنبَّهوا - آنذاك - لما كنا نفعل ، واستقبلوا المهاجرين اليهود الأوائل باعتبارهم لاجئين فرُّوا ممَّا يلاقونه من اضطهاد ؛ فإنهم بدأوا يتبرَّمون بعد ذلك . وتخوَّف السلطان عبدالحميد الثاني من موجات الهجرة ؛ فمنعها . وعارض العرب حركتنا ، وأنكروا حقوقنا التاريخية في أرض فلسطين ، وقالوا إن فلسطين كانت عربية مُدَّة ألف سنة ؛ قبل أن يدخلها اليهود ، وأن الدولة اليهودية التي أسسها الملك داود على أرض فلسطين لم تستمر سوَى أربعمئة سنة ؛ عادت فلسطين بعدها للعرب ، ورفضوا قولنا بأن لنا أماكن مقدسة فيها ، وقالوا بأن للمسلمين وللمسيحيين - أيضاً - أماكنهم المقدسة التي حافظ عليها العرب .

وجاءت الصعوبة الرئيسية من انتشار الدعوة للاندماج بين صفوف كثيرين من اليهود ؛ وخاصة في بريطانيا وفرنسا . وكان هؤلاء يرَوْن أن



جبل صهيون

اسم عبري يشير إلى الجبل الذي يقع جنوبي غربي القدس ، ويحج إليه اليهود . ويقال إن الملك داود قد دفن فيه .

ويستخدم الصهاينة كلمة (صهيون) بمعان كثيرة ؛ فهي تشير إلى (المدينة المقدسة) ، وهي أيضاً أم (إسرائيل) التي ستصبح عاصمة العالم . ولفظ (صهيونية) مشتق من كلمة (صهيون) .


Die Welt

Inhalt:

First issue of "Die Welt"

أول إصدار لجريدة « داي فلت » التي أصدرها هرتزل أسبوعياً من عام ١٨٩٧ إلى عام ١٩١٤

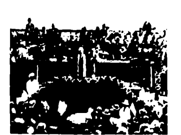


المهاجرون اليهود يصلون ميناء حيفا حيث شجعت القيادة الصهيونية الهجرة اليهودية الجماعية غير الشرعية إلى فلسطين . وهذا يخل بالوعود التي قدمتها بريطانيا إلى العرب

المشكلة اليهودية قد نشأت أصلاً من عزلة اليهود ، وخوفهم من الاندماج في مجتمعاتهم ، وأن حل مشكلة اليهود – في كل بلد – هو أن يكونوا من أبنائه ؛ فاليهودي البريطاني يكون بريطانيًّا واليهودي الفرنسي يكون فرنسيًّا ، وهكذا .

وكان الاضطهاد الذي عانيناه – نحن اليهود الروس في ظل حكم القياصرة – يدفعنا للحركة والنشاط . ووقعت أنا في مقدمة الذين تمسكوا بفلسطين هدفاً لنا ؛ كنت أرَى أن مشكلتنا ليست البحث عن أي أرض نحتمي فيها من الاضطهاد ، لكن هدفنا هو فلسطين .

لكن ذلك لم يكن رأي كل اليهود الروس للأسف . وفي جنيف (Geneva) – عاصمة سويسرا – حيث كنت أقيم ؛ عرفتُ كثيرين من الثوريين الروس الذين يعادون القيصرية ، وناقشت لينين ، كما ناقشت اليهود منهم مثل بلكنوف وتروتسكي . وكانوا يقولون إن الاضطهاد الذي أوقعه بنا القياصرة طال كل الأقليات في روسيا ؛ فالمسلمون الروس قد اضطهدوا أيضاً ، وكذلك الذين يعارضون الطغيان القيصري والحكم الفاسد . وقد عاملنا هؤلاء باحتقار شديد ، وقالوا : « إن اليهودي الروسي يجب أن يصلح وطنه . آنذاك ؛ سيتوقف الطغيان والاضطهاد ؛ لأن الهروب إلى أرض شعب آخر لن يحل مشكلة اليهود ؛ بل سيخلق مشكلة أخرَى » .



بلفور يفتتح الجامعة العبرية في إبريل عام ١٩٢٥

لم أهتم بهؤلاء ؛ برغم المشاكل التي سبَّبوها لنا ، وكنت قد أقمت في جنيف ؛ أحاضر طلاب جامعتها في الكيمياء ، وأتابع مشروع (الجامعة العبرية) التي حصلت على موافقة المؤتمر الصهيوني الأول لإنشائها في القدس ؛ لتلقِّن الأجيال اليهودية الجديدة تاريخنا وثقافتنا ولغتنا ؛ فتحميها من الانقراض .

لم يهتم هرتزل بكل هذا . كان ذهنه صافياً وأهدافه واضحة . نظر إلى الموضوع ببساطة ؛ ففلسطين ولاية تابعة للإمبراطورية العثمانية . تلك حقيقة سياسية لايمكن تجاهلها . وإذن ؛ فليس هناك طريق للوصول إليها لايمرُّ بإستانبول .

أيامها ؛ كانت الإمبراطورية العثمانية رجل أوربا المريض . شاخت وتضعضعت . نخر الفساد عظامها . هزت الديون استقرارها . سرَى نفوذ الأجانب في كل إدارتها . انتزعت دول أوربا عدداً كبيراً من مستعمراتها ، وتربَّصت لما بقي منها .

لم نكن أقوياء ؛ فنستطيع انتزاع فلسطين من الأتراك ؛ كما انتزع البريطانيون مصر والسودان ؛ فلم يبقَ أمام هرتزل إلا أن يخوض بحر السياسة الأوربية العاصف ؛ بحثاً عن دولة تريد أن تأخذ نصيباً من الرجل الأوربي المريض ؛ ليقنعها بأن من مصلحتها هي أن تتبنَّى قضيتنا ؛ فتكون فلسطين لها ولنا في نفس الوقت .

وعندما تبلورت الفكرة في ذهن هرتزل ؛ اتصل بالسفير الألماني في فيينا ؛ قال له : « علمت أن الإمبراطور غليوم سيزور النمسا ، وأطمع أن أقابله لكي أعرض عليه أفكاري حول ماتكسبه ألمانيا ؛ إذا ساعدتنا في الحصول على فلسطين » .

اعتذر السفير بأن الإمبراطور سيكون مشغولاً . لكنه استمع لأفكار ضيفه باهتمام . وكان هرتزل مباشراً وصريحاً ؛ فقال للسفير : « إن نفوذ ألمانيا السياسي والاقتصادي في تركيا ذو أهمية بالغة لها ولنا ؛ فإذا استخدمتم هذا النفوذ لمصلحتنا ، وسمح السلطان بهجرة اليهود إلى فلسطين ، وأباح لهم شراء الأرض فيها ؛ فسوف تربحون وجودكم في جزء مهم من الإمبراطورية العثمانية ؛ لايقل في أهميته عن وجود عدوتكم التقليدية بريطانيا في الهند » .

كان ذكر بريطانيا تصرفاً ذكيًّا ؛ فقد كانت الدولتان مشتبكتين في صراع عنيف حول النفوذ في العالم . واصل هرتزل طرق الحديد وهو



غليوم الثاني يتفقد مسجد قبة الصخرة أثناء زيارته القدس سنة ١٨٩٨ . وقد قام بهذه الزيارة تعزيزاً للعلاقات بين ألمانيا والإمبراطورية العثمانية ، وليبين للدول الأوربية الأهمية التي توليها ألمانيا لمصالحها في المشرق العربي

ساخن ؛ فأردف يقول : « كنتُ أظن أن بريطانيا هي المرشحة لتبنّي حركتنا ، لكن إذا تقدمت ألمانيا لتفعل ذلك فسوف أرحِّب أكثر ؛ لأن معظم اليهود من ذوي الثقافة الألمانية . ودليلي على ذلك أن الألمانية كانت اللغة الرسمية للمؤتمرين الصهيونيين الأول والثاني » .

فشل المشروع ؛ عندما رفض السلطان عبدالحميد أي مناقشة حوله . والتقى هرتزل بالإمبراطور غليوم خلال زيارة قام بها العاهل الألماني لفلسطين ؛ فوجد حماسه لتنفيذ الفكرة قد فتر .

عاد هرتزل – مرة أخرى – للمراهنة على بريطانيا . وكان اليهود يسبِّبون للسياسة البريطانية – آنذاك – صداعاً مزمناً ؛ فقد أخذت موجات الهجرة اليهودية تتدفق عليها من روسيا ، والصحف لا تكفُّ عن ذكر المذابح التي يرتكبها جنود القيصر ضد اليهود ، والأزمة الاقتصادية تأخذ بخناقها ، وتجعلها غير قادرة على تحمل مزيد من المهاجرين .

في تلك السنة (١٩٠٢) كان رئيس الوزراء هو آرثر جيمس بلفور (Arthur James Balfour) ، وتعرف هرتزل على وزير المستعمرات

غليوم الثاني
(١٨٥٩ – ١٩٤١)

اسم يطلق في المراجع العربية على الإمبراطور الألماني (فلهم الثاني) ، أو (وليم الثاني) .

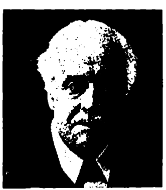
زار دمشق والقدس عام ١٨٩٨ ، وأهدى ضريحاً من المرمر لقبر صلاح الدين.

صاغ سياسة ألمانيا لتكون سياسة صداقة مع العثمانيين والعرب ؛ ليواجه نفوذ بقية دول أوربا في الدولة العثمانية .

في عام ١٩٠٧ ؛ وقع معاهدة صداقة وتحالف مع تركيا شاركت فيها الإمبراطورية النمساوية ؛ وهي المعاهدة التي دخلت تركيا بمقتضاها الحرب العالمية الأولى .

في الوزارة جوزيف تشمبرلن (Joseph Chamberlain) ، ودخل معه في مساومة حول مطالبنا ، وانتهت مناقشاتهما إلى نتيجة غير سارة ؛ إذ عرض تشمبرلن أن تقدم لنا بريطانيا جزءاً من أرض أوغندا في شرقي إفريقية ؛ لكي نقيم عليها مقاطعة صهيونية خاضعة للتاج البريطاني ؛ وكانت هضبة وعرة غير صالحة للزراعة .

وأثار العرض ضجة هائلة في صفوف اليهود ؛ هاجمه الاندماجيون كالعادة ؛ مكرّرين دعوتهم بأن يبقَى كل يهودي في وطنه ، وينتمي إليه ، ويندمج فيه . أما هرتزل ؛ فقد وقف في المؤتمر الصهيوني السادس – الذي عقد في عام ١٩٠٣ – ليدافع عن العرض البريطاني ، وقال : « إن بريطانيا ، وبريطانيا وحدها بين دول الأرض ؛ كانت هي الوحيدة التي اعترفت باليهود أمة قائمة بنفسها ومنفصلة عن غيرها ، ووافقت من حيث الفكرة على أن اليهود جديرون بأن يكون لهم وطن ومملكة . هذا اعتراف مهم ينبغي ألا نرفضه أو نهدره » .



آرثر جيمس بلفور



(١٨٣٦ – ١٩١٤)

سياسي ، ووزير بريطاني .

ولد في لندن .

انتخب عضواً في مجلس العموم عدة مرات .

تولى وزارة المستعمرات بين عامي ١٨٩٥ و١٩٠٥ .

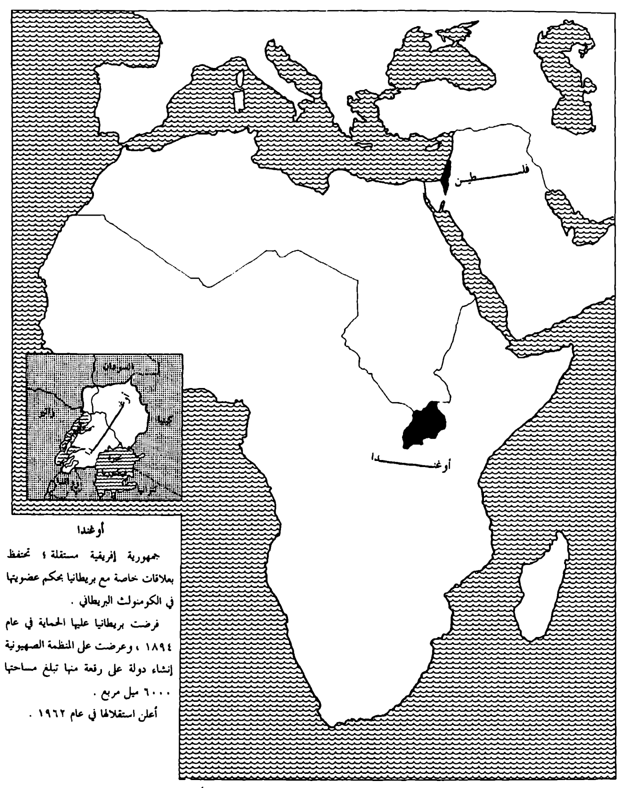
أشهر ماعرف به كممثل للخط الاستعماري هو تحسين علاقة بريطانيا بمستعمراتها ؛ بمايحقق لها فوائد دفاعية وتجارية أكبر . وتطبيقاً لهذا المبدأ الذي عرف (بتوحيد الإمبراطورية) أو (سياسة التفضيل الإمبراطوري) ؛ كان اقتراحه بإعطاء أوغندا للحركة الصهيونية .

كنت واثقاً أن هرتزل قَبِل مشروع شرقي إفريقية لأنه (الممكن) الذي استطاع التوصل إليه . وكان تخليه عن فلسطين قاسياً على نفسه . كان قاسياً علينا جميعاً . وكان الصراع داخل المؤتمر بين هؤلاء الذين يَروْن أن العرض البريطاني فرصة لاينبغي إهمالها ، وهؤلاء الذين يقولون : فلسطين أو لاشيء .

وحين جاء الدور عليَّ ؛ أعطيت صوتي ضد المشروع ، وأيَّده أبي . وقد شحب وجه هرتزل حين وجد أن هناك تياراً قويًّا في المؤتمر يرفض المشروع ، ويتمسك بفلسطين دون غيرها . ومع أن المستوطنين الأوربيين في أوغندا قد رفضوا وجودنا معهم ؛ فإن موقفنا أغضب الحكومة البريطانية ، وأغضب بلفور نفسه ؛ فصرح بأن السماح لنا بدخول بريطانيا هو شر أكيد للجزر البريطانية ، وأصدر قوانين تحدُّ من هجرتنا إليها .

مات هرتزل في عام ١٩٠٤ ، وترك المنظمة الصهيونية مفككة ومنقسمة على نفسها بسبب مشروع شرقي إفريقية ؛ فالقيادة الرسمية لها تقيم في برلين ، وتواصل المفاوضة حول المشروع ؛ في حين تزعمتْ – في جنيف – الجناح الذي كان يرفضه .

في تلك السنة ؛ قرَّرتُ أن أرحل إلى بريطانيا لأقيم فيها وأعمل بها . ولم يكن الجو السياسي بها ملائماً لنشاط واسع ؛ فحكومة بلفور تعامل



أوغندا

جمهورية إفريقية مستقلة ، تحتفظ بعلاقات خاصة مع بريطانيا بحكم عضويتها في الكومنولث البريطاني .

فرضت بريطانيا عليها الحماية في عام ١٨٩٤ ، وعرضت على المنظمة الصهيونية إنشاء دولة على رقعة منها تبلغ مساحتها ٦٠٠٠ ميل مربع .

أعلن استقلالها في عام ١٩٦٢ .

• موقعا فلسطين وأوغندا اللتين انقسم الصهاينة حول اختيار إحداهما مستوطناً لهم •

اليهود ببرود ؛ بسبب رفض المشروع . وجاء موت هرتزل وانقسام المنظمة ليهبط بدرجة هذا البرود إلى الصفر .

لم أيأس . كان الدرس الأساسي الذي تعلمته من هرتزل هو أن أتحدث مع الجميع عما يريدونه ؛ قبل أن أتحدث عما أريد أنا ، وأن أقنعهم بأن إعطاء فلسطين لنا هو أمر لمصلحتهم قبل أن يكون لمصلحتنا . كان عليَّ أن أفهم الكثير ممَّا يجري في بحر السياسة الدولية المليء بالدوامات ، وأن تظل عيني على الصراع بين دول أوربا حول ممتلكات رجلها المريض : تركيا . وكنت واثقاً منذ البداية بشيئين :

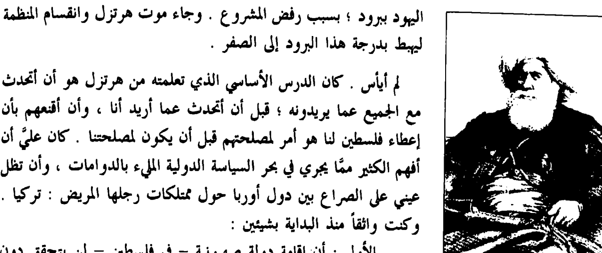
الأول : أن إقامة دولة صهيونية - في فلسطين - لن يتحقق دون معاونة الحكومة البريطانية وبالتحالف معها .

الثاني : أن بريطانيا ستحقق هذا الهدف ، ولن تكف عن تقديم عروض جديدة لنا ، والمهم أن نتمسك بفلسطين ، وأن نرفض أي عرض سواها .

ولم يكن الأمر في حاجة إلى ذكاء كبير لكي ندرك - نحن اليهود - أن البريطانيين يشعرون برعب شديد من إنشاء دولة عربية موحدة تضم مصر وفلسطين وبقية أنحاء الشام ؛ فتهدد طرق المواصلات بين بريطانيا ومستعمراتها وتكرِّر تجربة محمد علي الذي أنشأ دولة عربية ؛ دفع الأوربيون ثمناً باهظاً من دمائهم وأموالهم حتى استطاعوا تحطيمها . وكنت واثقاً أن البريطانيين سيقتنعون - في النهاية - بأن لا حل أمامهم غير إعطائنا فلسطين ؛ لتكون دولتنا على أرضها حائلاً بريًّا تمنع تكرار تجربة محمد علي المريرة ؛ فتحفظ لهم مصالحهم في المنطقة ، وتحمي أهم طرق المواصلات وأكثرها حيوية لهم : قناة السويس .

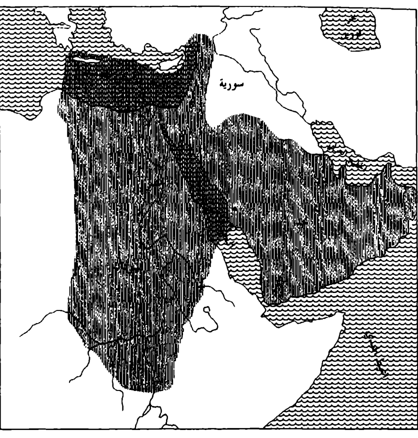
وحين وصلت إلى مدينة مانشستر (Manchester) البريطانية ؛ وجدت الجو السياسي حول مطالب اليهود أقل بروداً ممَّا توقعت ، وتأملت المصانع الضخمة التي تحول القطن المصري إلى غزل ونسيج ؛ فزادت ثقتي بأن بريطانيا ستساعدنا على تحقيق أهدافنا ؛ فوجودنا في فلسطين سيضمن إمداد تلك المصانع بالقطن المصري الذي لم تكن تستطيع أن تعيش بدونه .

في مانشستر تعرفت بشارل دريفوس (Charles Dreyfus) ؛ وهو عالم كيميائي يهودي ؛ يرأس مصانع كيميائية في المدينة ؛ ينشط من أجل مطالب اليهود ، ويرأس الجمعية الصهيونية بها ، وكان من أنصار قبول



محمد علي الكبير
(١٧٦٩ - ١٨٤٩)

مؤسس أول دولة في مصر .
ولد في مدينة قولة بألبانيا .
تولى حكم مصر عام ١٨٠٥ ، وقضى على المماليك عام ١٨١١ .
قاد أبناؤه الحملات العسكرية لفتح شبه الجزيرة العربية والسودان عام ١٨٢٠ .
قاد ابنه وخليفته إبراهيم باشا الحملات العسكرية ضد السلطان العثماني في قونية ، ونال ولاية سورية .
انتصر على السلطان العثماني في معركة نصيبين عام ١٨٣٩ ، واستولى على الأسطول العثماني ، مما هدد بسقوط الإمبراطورية العثمانية وتعريض التوازن الأوربي للخلل .
تحالف ضده - سياسيًّا وعسكريًّا - روسيا القيصرية وفرنسا وبريطانيا ، وأجبروه على توقيع معاهدة لندن عام ١٨٤١ ، وتنازل فيها عن فتوحاته .



مشروع شرقي إفريقية الذي عرضته علينا بريطانيا . وبرغم أنني كنت ضد الفكرة ؛ فقد ربطت الصداقة بيني وبين شارل دريفوس ، لكن الاحترام والتقدير الذي تبادلناه لم يؤثر في رأيي ، ولم تفلح مناقشات دريفوس في إقناعي برأيه .


وايزمن في جنيف عام ١٩٠١ يتوسط عدداً من زعماء الصهيونية

وكان دريفوس على علاقة وثيقة باللورد بلفور رئيس الوزراء البريطاني ؛ فمانشستر هي دائرة بلفور الانتخابية ؛ عاد إليها بعد أن استقالت وزارته ؛ ليخوض معركة انتخابية جديدة ، وكان دريفوس يراه كل يوم ؛ فهو ساعده الأيمن في المعركة .

فكر دريفوس في أن يستعين باللورد بلفور لكي يحولني عن موقفي من مشروع شرقي إفريقية ؛ فرتَّب لي موعداً لكي ألقاه .


منزل وايزمن في مانشستر

وعندما دخلت المقر الانتخابي لبلفور في فندق الملكة بمنطقة بيكاديللي ، وجدته مزدحماً بالوفود التي جاءت لتناقش معه بعض أمور المعركة الانتخابية ؛ فأيقنت أنني لن أستطيع البقاء معه على انفراد أكثر من عدة دقائق .

استقبلني بلفور في غرفة واسعة من الطراز القديم ، وجلس ومدَّ



وايزمن مع بلفور في فلسطين عام ١٩٢٥

ساقيه إلى الأمام ، وبادرني بالسؤال ؛ قائلاً : « لماذا رفض بعض الصهاينة العرض الذي قدمته بريطانيا لهم بإقامة دولة يهُودية في أوغندا ؛ على الرغم من أن الحكومة البريطانية كانت جادة ومخلصة في عمل شيء لرفع الظلم عن اليهود » .

ومع أن معرفتي باللغة الإنجليزية لم تكن كافية ؛ فقد اندفعت في الحديث عن الحركة الصهيونية كحركة سياسية ودينية ؛ حتى ظننت أن بلفور قد بَرِم بالحديث ، وأصابه الملل . لكنني فوجئت بأنه يستفسر مني لمعرفة المزيد عن الحركة الصهيونية ، وأهدافها ، ورجالها ، ودوافعهم .

وتشجعت وأوضحت له أن الحركة الصهيونية في رأيي حركة سياسية قومية ، ولكن لها – أيضاً – جانباً روحيًّا ، وأنه لن يُكتب النجاح للحركة الصهيونية السياسية إلا إذا عُني الصهاينة بهذا الجانب الروحي ، وأن الحركة الصهيونية إذا تخلّت عن فلسطين فسوف تفشل ، وأنه لو فُرِض أن بُعِث النبي موسَى ثانية ، وسمع مايقوله قِلّة من اليهود عن إقامة دولة صهيونية في أوغندا ؛ لحطّم الألواح (*) ثانية ، كما حطمها عندما عاد وشاهد بني إسرائيل يعبدون العِجْل .

(*) الألواح : هي التي سجل عليها موسَى النبي الوصايا العشر .

وختمت حديثي سائلاً بلفور : « ماذا تفعل ياسيدي لو قدم الناس إليك باريس بدلاً من لندن ؟ » . فأجاب بلفور من الفور : « تذكّر أن لندن في أيدينا ، أما فلسطين فليست في حوزتنا أو حوزتكم » . استغرقت مقابلتي لبلفور ساعتين ؛ بدلاً من عدة دقائق كما كان مقدَّراً لها من قبل ، وقد علق بلفور على هذه المقابلة فيما بعد ؛ فقال : « لقد زارني اليوم شاب يهودي روسي ، وتحدث إليَّ حديثاً كان له أعظم وقع في نفسي » .

انتهت مقابلتي الأولَى مع اللورد بلفور دون نتيجة محددة ، لكنها أصبحت واحدة من العلامات البارزة في حياتي ؛ فقد كانت سنة ١٩٠٦ هي السنة التي اعتزمت أن أُوقِف فيها حياتي على الصهيونية ، كما أصبحت واحدة من أهم العلامات في حياة اليهود ؛ لأنها كانت أول لقاء فتح الباب أمام حصولنا على وعد بلفور .

حزب المحافظين البريطاني

حزب سياسي بريطاني . عرف بهذا الاسم منذ عام ١٨٣٠ .

كان يمثل طبقة كبار الملاك الزراعيين والصناعيين ، وانضم إليه عدد من اليمينيين بعد التوسع الاستعماري ؛ أمثال تشرشل الذي تزعم خط مناهضة الاشتراكية .

يهدف الحزب إلى صيانة الإمبراطورية ، وتأييد المؤسسات التقليدية .

مضت سنوات طويلة قبل أن ألتقي مرة ثانية باللورد بلفور ؛ فقد فشل حزب المحافظين البريطاني – وكان بلفور من أقطابه – في المعركة الانتخابية ، وخسر بلفور مقعده في البرلمان . وفي عام ١٩١١ ؛ استقال من قيادة الحزب ، ولم يعد اسمه لامعاً ؛ كما كان يوم قابلته أول مرة .

وكانت الفترة الواقعة بين عامي ١٩٠٦ و ١٩١٤ فترة حاسمة في تاريخ اليهود ، وكنتُ أعمل في بريطانيا وخارجها ؛ مع اليهود ومع غيرهم ، لكي يقدِّر الجميع الفكرة الصهيونية كما كنت أتخيَّلها .

وكان هناك تيار منتشر بين اليهود هو (الصهيونية السياسية) ؛ يقول أنصاره إن فلسطين هي إحدَى الولايات التابعة للإمبراطورية ، ولن نستطيع – نحن اليهود – أن نتغلب على الحظر الذي فرضته تركيا على شرائنا الأرض أو نفك القيود التي وضعتها على هجرتنا لها ؛ إلا إذا استعنَّا بدولة كبرَى ، وحصلنا منها على (وعد) يبيح لنا تنفيذ مشروعنا في فلسطين .

وكان هؤلاء يهاجموننا نحن (الصهيونيين العمليين) ؛ لأننا كنا نؤمن بوجوب احتلال أراضي فلسطين قطعة بعد أخرَى ، والعمل على إحياء التقاليد اليهودية بين يهود العالم ، وإحياء العبرية وتعميمها ، ثم ربط كل اليهود بفكرة وطنهم فلسطين .

وفي المؤتمر الصهيوني الثامن الذي عقد عام ١٩٠٧ في لاهاي ، وقفتُ أنا لأخطب باسم أنصار الصهيونية العملية ؛ فشرحت وجهة نظري ، وتحدثت عن الخلاف بين الصهيونية السياسية والصهيونية العملية ؛ فقلت : « إنكم تتحدثون عن وعد تنالونه من دولة كبرَى يبيح لكم العمل في فلسطين ، وأنا أؤكد لكم أن ألف وعد كهذا لايفيد ؛ إن لم نعمل نحن أولاً في فلسطين ، ونقوم بالأعمال التي من شأنها أن تحول فلسطين إلى وطن عملي » .

وفي السنة نفسها ؛ سافرت إلى فلسطين ، فقضيتُ بها بضعة أسابيع ، ثم عدت لأعمل باندفاع ؛ فأرسلنا موجات جديدة من المهاجرين ، وأنشأنا مستعمرات قوية ، وقوَّينا المستعمرات الضعيفة .

وحين نشبت الحرب العالمية الأولَى عام ١٩١٤ ، وتورَّطت تركيا فيها ؛ أدركت أن رجل أوربا المريض قد مكَّن أعداءه منه ، وأننا على وشك الوصول إلى بعض مانريد . لقد زجَّت تركيا بنفسها في أتون الصراع الدولي وهي ضعيفة منهكة ؛ ومعنى هذا أن الحرب ستنتهي باقتسام مستعمراتها – ومن بينها فلسطين – أيًّا كان المنتصر .

وفي طريق عودتي – من مصيفي في سويسرا – إلى لندن ؛ فكرت كثيراً في الحرج الذي أوقعتنا فيه الحرب . كنا على علاقة طيبة بكل الدول المتحاربة . وكان كل طرف يظن أننا أخلص له من غيره . أما وقد نشبت الحرب ؛ فقد كان علينا أن نأخذ موقفاً ؛ فهل نؤيد ألمانيا وتركيا ؟ أم نقف مع بريطانيا وفرنسا ؟ وماذا يحدث لو هُزِم الطرف الذي راهنَّا عليه . وتذكرت ما كان هرتزل يقوله ، وانتهيت إلى أن العمل في كل اتجاه ينبغي أن

يكون وسيلتنا : فلنراهن على الجميع ، ولنقنع الجميع أن مصلحتهم في تحقيق أهدافنا . ومع أنني كنت أثق بانتصار بريطانيا ؛ فإن ذلك لم يَحُل دون بقاء مكتب المنظمة في برلين يعمل ؛ بل ويواصل الاتصال بالألمان وحلفائهم ، ويكمل الحوار الذي بدأه هرتزل مع غليوم .

ركزتُ نشاطي في لندن ، واستطعت أن أتعرف إلى أحد الصحفيين البريطانيين المعروفين بحماسهم لنا ؛ وهو سكوت (Scott) ؛ رئيس تحرير صحيفة المانشستر جارديان (Manchester Guardian) ، وكان لمقالاته تأثير طيب على الرأي العام البريطاني .

وكان سكوت رجلاً طويل القامة ، موفور النشاط على الرغم من كبر سنه ، وله اهتمامات سياسية متعددة ، وعرف عنه دفاعه عن الأقليات المضطهدة في كل بلدان أوربا .

سألني سكوت ؛ فور تعرُّفي إليه : « هل أنت روسي ؟ » .

فقلت من الفور : « لست روسيًّا ، ولا أعرف شيئاً عن روسيا ، لكنني يهودي . وإذا أردت أن تتحدث إليَّ كيهودي فهذا يسعدني » .

وبعد عدة أيام ؛ وصلت إليَّ دعوة من سكوت لزيارته في منزله ؛ فهرعت إليه . وفي هذه المرة ؛ كان صريحاً معي ، وأطلعتُه على مكنون قلبي ، وحدثتُه عن أحوال اليهود السيئة في روسيا القيصرية ، ورويتُ له شيئاً عن طفولتي في موتول . وقلت له إن مشكلة اليهود واحدة ، وإن خلاصهم يتركز في الاستيلاء على فلسطين ، وإنشاء دولة لهم . وحدثتُه عن أحلامي وخلافي مع بقية الصهاينة حول مشروع أوغندا .

استمع سكوت إليَّ باهتمام . وقرب نهاية الحديث ؛ أخبرني أنه يودُّ أن يفعل شيئاً لمساعدتي ، وعرض عليَّ أن يقدمني للساسة البريطانيين . كما تحمَّست صحيفته لقضية اليهود ، وساندت مطالبهم . وصدق سكوت وعده لي ؛ فقدمني إلى الساسة ، وعرَّفني برجال الصحافة . وكنا نتقابل مرة كل أسبوع ؛ حين أصل من مانشستر إلى لندن في عطلة نهاية الأسبوع ؛ لإجراء المشاورات والاتصالات .

وذات صباح من شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٤ - بعد اندلاع الحرب العالمية الأولَى بعدة أشهر - دبَّر سكوت مقابلة لي مع لويد جورج (Lloyd George) وهربرت صموئيل (Herbert Samuel) ، وكانا وزيرين في وزارة أسكويث (Herbert Asquith) .

وأحسست بالخوف وأنا أتحدث إليهم حول مائدة الغداء ، وكنت أقدِّر العواقب الوخيمة التي قد تترتب على مثل هذا اللقاء بالنسبة للحركة

شارل سكوت
(١٨٤٦ - ١٩٣٢)

صحافي وكاتب بريطاني .

عمل محرراً في صحيفة المانشستر جارديان (١٨٧٢ - ١٩٢٩) التي كان يملكها زوج أخته ، وأصبح أحد مالكيها سنة ١٩٠٥ .

انتخب عضواً في مجلس العموم عن حزب الأحرار (١٨٩٥ - ١٩٠٦) .

مانشستر جارديان

صحيفة سياسية بريطانية يومية .

أسست عام ١٨٢١ .

رأس تحريرها شارلز سكوت بين عامي ١٨٧٢ -١٩٢٩ .

نالت سمعة عالية ونفوذاً عالياً في السياسة البريطانية .

الصهيونية ؛ على الرغم من أن سكوت أخفَى عني الهدف من الاجتماع .

وفور أن جلسنا إلى أماكننا حول المائدة ؛ أخذ لويد جورج يلقي بالأسئلة عن فلسطين والهجرات اليهودية السابقة ، وعن عدد المؤيدين للحركة الصهيونية بين اليهود ، وعن نواياهم تجاه بريطانيا في الحرب الدائرة بينها وبين أعدائها ، وعن موقف البريطانيين الصهاينة من رئاسة المنظمة الصهيونية الموجودة في برلين .

وقد تحدثت في هذا اللقاء عن المصلحة التي تتحقق لبريطانيا ؛ إذا منَحَتْنا فلسطين ؛ فقلت : « سوف تنتهي الحرب مهما طال زمنها ، وأنا واثق بأن الحلفاء سينتصرون ، وعليكم أن تفكروا في مشاكل مابعد الحرب . ومن حسن الحظ أن فلسطين متاخمة لقناة السويس شريان تجارتكم الرئيسي ، ونحن – وحدنا – نستطيع بوجودنا فيها أن نحجز النفوذ الفرنسي عن قناة السويس ، ونحجز القناة عن البحر الأسود ؛ فنضمن لبريطانيا السيادة في البحار ، وتفوز على منافسيها في أوربا : الروس والفرنسيين » .

تابع هربرت صموئيل حديثي باهتمام بالغ ؛ وكنت قلقاً لوجوده . صحيح أنه كان يهوديًّا ، لكن كثيراً من اليهود البريطانيين لم يكونوا يوافقون – آنذاك – على مانقول . وقد دهشت حين خرج هربرت صموئيل عن صمته ليقول : « لقد أعددتُ مذكرة لعرضها على مجلس الوزراء البريطاني تتضمن أفكاراً قريبة لما تقول » .

كانت تلك هي أول مرة يتطرق فيها شيء إلى مسامعي عن عزم الحكومة البريطانية على إقامة دولة يهودية في فلسطين . ونصحني لويد جورج في نهاية الجلسة ؛ بمقابلة أسكويث رئيس الوزراء ، وبلفور وزير البحرية .

وكان قد انقضَى على مقابلتي الأولَى لبلفور ثماني سنوات ، فلم أُشِرْ إليها . وطلبتُ من أحد أساتذة الفلسفة المقرَّبين منه تقديمي إليه بكلمة طيبة ، وتحديد موعد لي معه .

لكن بلفور قاطع صديقه قائلاً : « إن الدكتور وايزمن لايحتاج إلى مَنْ يقدمه إليَّ . إنني لازلت أذكر مقابلتي له في مدينة مانشستر سنة ١٩٠٦ ، وأرحِّب بدعوته » .

وعندما ذهبتُ لمقابلة بلفور في مكتبه بوزارة البحرية البريطانية ، استقبلني مُرَحِّباً ، وقال لي : « يبدو أنك لم تتغير عما كنت عليه في سنة ١٩٠٦ ، وأنا أؤكد لك أني لم أنسَ شيئاً من محادثتك معي في تلك السنة ، ويوم تسكت المدافع ستكون القدس من نصيبكم » .



دافيد لويد جورج
(١٨٦٣ - ١٩٤٥)

سياسي بريطاني .
ولد في مقاطعة ويلز .
انتخب عضواً في مجلس العموم عن حزب الأحرار عام ١٨٩٠ ، وظل عضواً به أربعاً وخمسين سنة متواصلة .
تولى وزارة الخزانة عام ١٩٠٨ ، ثم تولى وزارة الذخيرة عام ١٩١٥ أثناء الحرب العالمية الأولى ، ووزارة الحرب عام ١٩١٦ .
ألف وزارة ائتلافية عام ١٩١٦ ، وقاد بريطانيا نحو النصر ، وحقق أطماعها في مؤتمر فرساي .

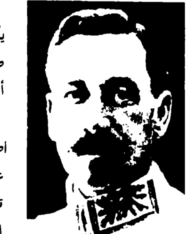
وكان الأمر يتطلب مجهوداً طويلاً حتي نصل إلى تلك النتيجة ، ولم يكن أحد يعرف أيامها ماسوف تتمخَّض عنه الحرب . لكن هربرت صموئيل لم ييأس ، وواصل كتابة المذكرات والتقارير لرئيس الوزراء أسكويث ؛ يلح فيها على فكرته .

وفي مارس (آذار) ١٩١٥ ؛ كتب هربرت صموئيل مذكرة اضافية ؛ قال فيها : « إن الإمبراطورية التركية ستنهار في الحرب . وسيكون علينا أن نختار بين عدة احتمالات لمستقبل فلسطين ؛ فإذا تركنا الأمر دون تدخل ؛ فسوف تضم فرنسا فلسطين إلى الشام ؛ فيصبح هناك خطر يتهدَّد المواصلات البريطانية . والاحتمال الثاني أن تعود فلسطين إلى تركيا لتقع من جديد وسط القذارة والفساد . أما الاحتمال الثالث ؛ فهو أن توضع تحت حماية عدد من الدول الأوربية ؛ وهو احتمال خطر ؛ لأن ألمانيا قد تستغل ذلك لتجعل فلسطين مَحْمِيَّة ألمانية . ولم يَبْقَ سوَى أن تُعْطَى فلسطين لليهود ؛ بشرط أن تصبح تحت الحماية البريطانية أولاً» .

ولم يكن رئيس الوزراء أسكويث متحمساً لأفكار مثل هذه ، وحاول هربرت صموئيل إغراءه ؛ فقال له : « إن مقترحاتي سوف تعود على بريطانيا بامتنان اليهود في سائر أنحاء العالم ؛ ففي الولايات المتحدة الأمريكية يصل تعدادهم إلى قرابة مليوني نسمة ، وفي كافة بلدان العالم الأخرى التي ينتشرون وسطها ؛ سوف يؤلف اليهود كتلة متعاطفة مع بريطانيا ؛ تدافع عنها ، وتتعاطف مع سياساتها » .

واصل هربرت صموئيل حرب المذكرات والتقارير ضد أسكويث ، لكن هذه التقارير لم تؤثر إلا في لويد جورج وبلفور . وساعدتني الظروف ؛ عندما حدث نقص شديد في الإنتاج البريطاني من مادة الأسيتون . وشعر لويد جورج - رئيس اللجنة المشرفة على إمداد الجيش بالذخائر - بالقلق الشديد لمعرفته بأهمية الأسيتون لصناعة المتفجرات ؛ فاقترح عليه صديقنا المشترك سكوت أن يستعين بي بصفتي أستاذاً للكيمياء . وعَكَفْتُ على العمل ، ونجحت - أخيراً - في الوصول إلى وسيلة جديدة ورخيصة نسبيًا لإنتاج الأسيتون .

وقبل أن أقدم نتائج أبحاثي له ؛ قلت ضاحكاً : « إن الألمان مستعدُّون لإعطائي نصف الإمبراطورية التركية ؛ مقابل هذا الاكتشاف .



هربرت صموئيل
(١٨٧٠ - ١٩٦٣)

سياسي بريطاني يهودي .

أول مندوب سامٍ بريطاني على فلسطين بعد الانتداب .

ولد في مدينة ليفربول .

انتخب عضواً في مجلس العموم عن الخافقين عام ١٩٠٢ .

تولى الوزارة لأول مرة في عام ١٩٠٩ ، عين رئيساً للجنة المالية خلال الحرب العالمية الأولى .

كان مندوباً سامياً لبريطانيا في فلسطين بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٥ . وأقام جهازاً مدنيًا بريطانيًا ضم عدداً من اليهود .

باشر تطبيق ماتضمنه صك الانتداب ووعد بلفور ؛ فأصدر قوانين تسهل الهجرة اليهودية . واعترف بالوكالة اليهودية ممثلة لليهود ، واعتبر اللغة العبرية لغة رسمية ثالثة .

شجع عمليات بيع الأراضي للمستوطنين اليهود وإقامة المستوطنات .



هربرت صموئيل عند وصوله ميناء يافا في يونيو (حزيران) عام ١٩٢٠ ليبدأ عمله بوصفه أول مندوب سام على فلسطين .

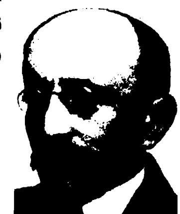
لكني لم أطلب من بريطانيا سوَى فلسطين » .

ومع أن لويد جورج قد ضحك لكلماتي ؛ فإنه أدرك ما أعنيه ، وفهم أن اكتشافاً كالذي توصلتُ إليه يمكن أن يصل إلى أعداء بريطانيا ؛ إذا لم تنظر بعين العطف إلى أهدافنا . وسرعان ما أتيحت لي فرصة أخرَى لكي أوثق علاقاتي ببلفور ؛ فقد عيَّنني - في سبتمبر (أيلول) ١٩١٥ - مستشاراً فنيًّا لوزارة البحرية التي تولاها ؛ فأصبحت من أعوانه المقربين .

استقالت وزارة أسكويث قرب نهاية عام ١٩١٦ ، وتشكلت وزارة بريطانية جديدة يرأسها لويد جورج ، ويتولَى بلفور فيها منصب وزير الخارجية . ومع أن صديقنا هربرت صموئيل فقد منصبه ، وحل محله وزير يهودي يرفض أهدافنا هو إدوين صموئيل مونتاجو (Edwin Samuel Montagu) ؛ فإن ذلك لم يوقف نشاطنا ، ولم يَفُتَّ في عضدنا .

كنا ندرك التطور الذي وصلت إليه حركتنا ؛ فقد خرجت من دور النظريات والدعايات إلى دور العمل والتنفيذ ، وأصبحنا في مركز يساعدنا على أن نعرف مَنْ كان معنا ومَنْ كان علينا .

وفي بداية عام ١٩١٧ ؛ رأيت أنه قد حان الوقت لعمل شيء حاسم للحصول على تصريح قاطع واضح يحفظ لليهود آمالهم في فلسطين ؛ فقابلت اللورد بلفور ، وكان معي البارون ليونيل فالتر روتشيلد (Lionel Walter Rothschild) ، والسير رونالد جراهام (Ronald Graham) . وكان



آحاد هاعام

(١٨٥٦ - ١٩٢٧)

كاتب ومفكر صهيوني ، وزعيم الجناح الثقافي في الحركة الصهيونية .

ولد في روسيا .

انضم إلى حركة عشاق صهيون عام ١٨٨٦ ، ثم انتقدها ، وأسس حركة بني موسى عام ١٨٨٩ .

عارض صهيونية هرتزل السياسية . وانتقد استيطان فلسطين بسبب صغر رقعتها ، ولأنها مأهولة بالسكان العرب .

عمل على تأسيس مؤسسات صهيونية ثقافية وتعليمية في فلسطين لبعث (اليهودية) ، ونشر نفوذها الروحي ؛ حيث يسكن اليهود في العالم .

من أقوال آحاد هاعام

« إنهم - الصهيونيين - يستشيطون غضباً ممن يذكرونهم بوجود شعب آخر في أرض فلسطين ، يعيش هناك ، ولا ينوي المغادرة على الإطلاق » .

« لقد كان هرتزل يتصور أن فلسطين لا شعب لها ، وكنت مثله أتخيل أنها مستنقعات ، لكني أرى هنا شعباً وحضارة وأطفالاً وبرتقالاً . فإذا أخذناها وطردناهم منها ، فنحن نرتكب ظلماً كبيراً » .

الاعتقاد السائد لدَى الدوائر الصهيونية أن الاتصالات بالحكومة البريطانية قد طالت ، وأن الوقت قد حان كي تعلن بريطانيا عن تأييدها لمطالبنا . وقلت لبلفور : « إن الدوائر الصهيونية في العالم تنتظر أن تعلن بريطانيا - في تصريح رسمي - موافقتها على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين » .

رحب بلفور بالاقتراح ، ووعدني بأن يعمل ما في وسعه من أجل إصدار بيان ؛ تعلن فيه الحكومة البريطانية تأييدها للحركة الصهيونية ، وطلب منا إعداد صيغة البيان المقترح ؛ تمهيداً لعرضه على مجلس الوزراء البريطاني .

وفور مغادرتنا وزارة الخارجية ؛ دعوت الحاخامات ، ورجال الفكر اليهودي ، وزعماء الحركة الصهيونية إلى مؤتمر يقوم بإعداد صيغة البيان الذي نريده .

كنت أظن أننا سنعدُّ البيان خلال عدة أسابيع ، ولكن اجتماعاتنا كشفت عن خلافات جوهرية بين المتطرفين والمعتدلين .

رأى البعض أن ينص التصريح المرتقب على إنشاء دولة يهودية في فلسطين ؛ انطلاقاً من أن فلسطين يهودية ، كما أن بريطانيا بريطانية ، وفرنسا فرنسية .

ورأى المعتدلون أن ينص التصريح على إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ؛ دون أي إضافات أخرَى قد تُعقّد الموقف أمام بريطانيا .

اشتد الخلاف بين أعضاء المؤتمر ، وكنت حريصاً على الانتهاء من البيان المطلوب في فترة زمنية قصيرة ؛ فاستقرَّ الرأي على تشكيل لجنة لدراسة المشروعات المقدمة من الجماعات الصهيونية المختلفة ، وإعداد مشروع واحد .

وضمَّت اللجنة اثنين من أصحاب الفكر الصهيوني ، ومن ذوي النفوذ في الأوساط الصهيونية ، والمشهود لهم بالاعتدال والتَّرَوِّي ؛ وهما الكاتب الصهيوني آحاد هاعام (Ahad Haam) ، والصحفي الصهيوني البارز ناحوم سوكولوف (Nahum Sokolov) الذي أسندت رئاسة اللجنة إليه ، كما انضم إلى اللجنة جيمس دي روتشيلد (James de Rothschild) ، وليونيل فالتر روتشيلد . وشاركتُ بنفسي في عدة اجتماعات لهذه اللجنة ، ثم سافرت إلى جبل طارق .

كنت أخشَى آحاد هاعام أكثر ممَّا أخشَى أي عضو آخر في

اللجنة ؛ فقد كانت آراؤه تبدو منطقية وعملية . لم يكن آحاد اندماجيًّا يسعَى لكي نذوب في المجتمعات التي نعيش فيها ، لكنه - أيضاً - لم يكن صهيونيًّا بطريقتنا ؛ فقد كان يرفض إنشاء دولة لنا على أرض فلسطين ، ويرَى أن وقتها لم يَحِنْ بعد . ويقول بأن فلسطين ينبغي أن تكون مركزاً روحيًّا لنا ، كما أن مكة مركز روحي للمسلمين ، وعلينا أن ندفع اليهود للتعلق بها ، ولدراسة تاريخهم فيها ، ونبعث لغتهم وتقاليدهم ؛ بالتأليف ، والتربية ، والدعاية ، والنشر ، وإنشاء المؤسسات الثقافية .


البارون إدموند جيمس دي روتشيلد في فلسطين عام ١٩١٤

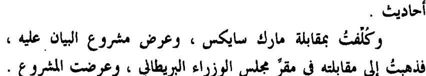
وكان آحاد هاعام يؤمن بأننا - نحن اليهود - لنا رسالة أكبر بكثير من مجرد إنشاء دولة على قطعة أرض صغيرة ؛ فنحن خلاصة العبقرية البشرية ، وعلينا أن نسعَى لبعث عبقريتنا ؛ لكي تتعلم منها البشرية وتستفيد . وكنت أخشَى أن يقنع الآخرين بأفكاره تلك .

وعندما عُدْتُ إلى لندن ؛ كانت اللجنة التي شُكلَت برئاسة ناحوم سوكولوف قد انتهت من إعداد مشروع البيان ؛ بعد مناقشات صاخبة بين أعضائها .


ناحوم سوكولوف
(١٨٥٩ - ١٩٣٦)

كاتب ، وصحافي صهيوني ، وأحد قادة الحركة الصهيونية .
ولد في بولندا .
تولى عدة مناصب مهمة في المنظمة الصهيونية العالمية .
لعب دوراً كبيراً في المحادثات التي أجريت مع بريطانيا وفرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى ؛ للحصول على تأييد المنظمة ، ثم على وعد بلفور .
رأس الوفد الصهيوني إلى مؤتمر السلام في باريس .
عرف بكتابه الشهير (تاريخ الصهيونية)

واستقر الرأي على عرض المشروع على مارك سايكس أحد مستشاري وزارة الخارجية البريطانية ؛ قبل تقديمه إلى وزير الخارجية بلفور ، والاستعانة برأيه في إعداد هذه الوثيقة ؛ نظراً لخبرته الواسعة بفلسطين ، ولمعرفته باتجاهات الوزراء ومايدور فيمابينهم داخل الحجرات المغلقة من أحاديث .



وكُلِّفتُ بمقابلة مارك سايكس ، وعرض مشروع البيان عليه ، فذهبتُ إلى مقابلته في مقرِّ مجلس الوزراء البريطاني ، وعرضت المشروع .

قرأ مارك سايكس مشروع البيان في عناية ، وتأمله طويلاً ، ثم قال : « ياعزيزي وايزمن ؛ إن البيان أطول ممَّايجب ، وهو يتضمن تفاصيل دقيقة تمسُّ فلسطين والعرب ، وهذه التفاصيل من المستحسن عدم إثارتها الآن ، وإلا أفْسَدَتْ كل شيء » .

فقلت له في حماس : « إن فلسطين هي مملكة إسرائيل ، والصهاينة يتطلعون إلى معاونة الحكومة البريطانية في إعادة فلسطين إليهم ؛ لإنشاء دولتهم » . وشرعنا في بحث موقف الدول من فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ؛ فقال سايكس : « إن أهم عقبة أمامنا هي فرنسا ؛ لأن فرنسا تريد سورية وفيها فلسطين ، ولاتنسَ نفوذها الأدبي في الشرق » .

قلت لسايكس إننا مستعدون للتفاوض مع فرنسا ؛ فأشار بيده

إشارة غامضة ، واستطرد قائلاً : « وهناك أيضاً العرب . يجب ألا تنسى يقظتهم القومية ، ونضالهم من أجل نيل الحرية . ويمكن أن نتغلب على هذا ؛ إذا أحسنًا التفاوض معهم ؛ ولاسيما أن زعيمهم الشريف حسين رجل متزن واسع الأفق ، وثقته بنا بغير حدود . ولكي لايتصادم التصريح الذي تريدونه مع كل هذا ؛ فإنني أرَى أن يختصر إلى أكثر من النصف ؛ على أن يقتصر على نقطتين أساسيتين فقط ؛ هما :

* أولاً : الاعتراف بفلسطين وطناً قوميًّا للشعب اليهودي .
* ثانيا : الاعتراف بالمنظمة الصهيونية .

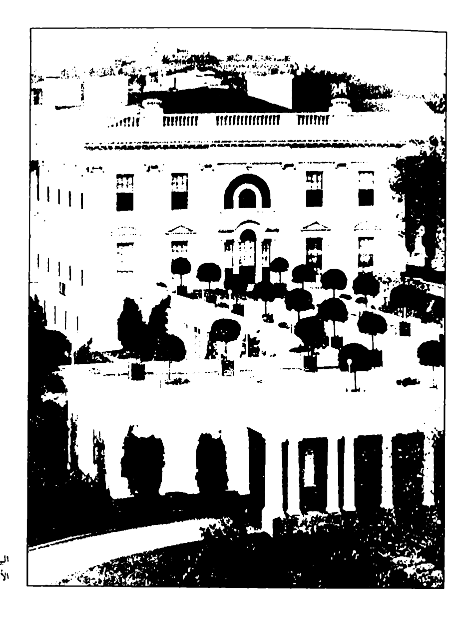
وختم مارك سايكس حديثه ؛ قائلاً : « إن البيان يجب أن يكون خالياً من التفاصيل ، وأن تقتصر كلماته على مبادئ عامة غامضة » .

خرجتُ من لقائي مع مارك سايكس بانطباع طيب ؛ برغم أنه لم يذكر لنا أنه – قبل أن يجتمع بنا – كان قد اتفق مع فرنسا على كل مايتعلق بسوريَة وفلسطين في ذلك الاتفاق الذي عُرِف – فيمابعد – باسم (سايكس – بيكو) . وحتى حين علمتُ بأمر الاتفاق ؛ لم أغيِّر رأيي في شخصية سايكس ؛ فلقد كان الرجل مخلصاً للصهيونية ، وأدَّى لها أكبر الخدمات . وكان اتفاقه السري مع فرنسا مفيداً لنا ؛ فقد كان سياسيًّا بارعاً ، وكان باستطاعته دائماً أن يتغلب على مصاعب كنا نعجز عن تخطيها .

وبعد عدة أسابيع ؛ قابلتُ اللورد بلفور – وكان قد أصبح وزيراً للخارجية البريطانية – وشرحتُ له ملخصاً لما دار في اجتماعنا بسايكس . وتحدثتُ عن عداء فرنسا لنا ، وهنا قال لي بلفور : « إذا أبَتْ فرنسا الاتفاق مع بريطانيا لمصلحتكم ؛ فماعليكم إلا أن تذهبوا إلى أمريكا لنتفق معاً ، ونعمل نحن وأمريكا في سبيلكم » .

أدركتُ مايشير إليه بلفور ، فقلت من الفور : « إن باستطاعتنا أن نفعل شيئاً هناك ؛ فالرئيس الأمريكي يحتفظ بعدد كبير من المستشارين الصهاينة في البيت الأبيض ، وبمقدورهم أن يفعلوا الكثير لنا .. ولكم » .

فهم بلفور ماأشير إليه دون أن أذكره صراحة ، وكنت أريد أن أقول له إننا نملك تأثيراً كبيراً في البيت الأبيض الأمريكي ؛ يمكن أن يكون مفيداً لقضية الحلفاء ، وأن باستطاعتنا أن نستخدم هذا النفوذ ؛ إذا دعمت بريطانيا قضيتنا .



البيت الأبيض ، مقر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

وكان دخول أمريكا الحرب ضد ألمانيا هدفاً يسعَى إليه الحلفاء ، ويستميتون في الوصول إليه ؛ فقد خرجت روسيا من الحرب بعد أن استولَى الثوار على مقاليد الحكم فيها ؛ فأضعف ذلك قوة الحلفاء . وكان الألمان على وشك نقل فرق من الجبهة الروسية إلى الجبهة الغربية . وقد قصدتُ بإشارتي تلك أن أوحي لبلفور أننا قد نساعدهم في إقناع الرئيس ويلسون بدخول أمريكا الحرب ضد ألمانيا .

وقد بدا تأثير العبارة واضحاً على وجه بلفور ؛ وهو ما جعلني أقتنع أن الحصول على تأييد أمريكي لمطالبنا سيحسم كل شيء ، ويقضي على كل ماتردَّد ؛ فكثفتُ اتصالاتي بالصهاينة الأمريكيين ؛ وخاصة مستشاري الرئيس ويلسون ، ولم نهمل الضغط على فرنسا ؛ فصحب مارك سايكس

معه زميلي سوكولوف إلى باريس ، واستطاعا - بعد مجهود - أن يقنعا وزارة الخارجية الفرنسية بألا تعارض التصريح البريطاني لنا عند صدوره .

وفي يونيو (حزيران) ١٩١٧ ؛ تلقّيتُ من باريس وواشنطن مايفيد أن الفرنسيين والأمريكيين لن يعترضوا ؛ إذا أصدرت بريطانيا وعداً لصالحنا

أعددنا مشروعاً جديداً للوعد ؛ على ضوء ملاحظات مارك سايكس ، ونتيجة مفاوضاتنا في لندن وباريس وواشنطن . وأرسلنا المشروع الجديد بخطاب ؛ باسم المنظمة الصهيونية العالمية ؛ وقّعه ليونيل فالتر روتشيلد - في ١٨ يوليو (تموز) ١٩١٧ - لتقديمه إلى وزير الخارجية .

وتلقّى ليونيل فالتر روتشيلد ردًّا من بلفور على رسالته في أغسطس (آب) ١٩١٧ ؛ يؤكد أن الحكومة البريطانية سوف تبذل مساعيها لضمان تحقيق هدف إنشاء وطن قومي لنا في فلسطين ، وأنها مستعدة للنظر في أية اقتراحات خاصة بالموضوع ترغب المنظمة الصهيونية في عرضها .

وقد تضمنت هذه الرسالة المبادئ الأساسية التي تضمنها وعد بلفور الذي صدر بعد ذلك في الثاني من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ .

استيقظتُ في صباح الثاني من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ مبكراً ، وسرعان ما لحقت بي زوجتي فيرا ؛ على الرغم من أنها كانت تنتظر مولودها الثاني بين لحظة وأخرَى .

وكنت هذا الصباح قلقاً على غير عادتي ؛ ليس بسبب زوجتي الحامل ، لكن بسبب مشاغلي السياسية ؛ فقد بدأت الاتصالات بيني وبين رجال الحكومة البريطانية تؤتي ثمارها ؛ في الوقت الذي اشتد فيه هجوم البريطانيين اليهود المعادين للصهيونية علينا ؛ فقد نشر دافيد ألكسندر (David Alexander) رئيس مجلس يهود بريطانيا ، وكلود مونتفيور (Claud Montefiore) رئيس الجمعية اليهودية - البريطانية ، بياناً في جريدة التايمز ؛ هاجما فيه الصهيونية هجوماً شديداً ؛ ممًّا سبب حرجاً شديداً لوزير الخارجية البريطاني بلفور .

وتناولتُ طعام الإفطار على عجل ، وألقيتُ نظرة على صحف الصباح ، وارتديتُ معطفي ، وهممتُ بالخروج . كان الجو في الخارج قارس البرودة ؛ قالت لي فيرا : « تدثّر جيداً في الطريق . نوفمبر هذا العام قارس البرودة » . فابتسمت قائلاً : « أوه ياعزيزتي ؛ لاتنسَيْ أنني من مواليد موتول ؛ حيث تتراكم الثلوج طوال العام . إنني لاأحس اليوم بالبرد ؛ كأن شمس فلسطين الساطعة تشرق هذا الصباح في داخلي ، وتشيع

التايمز

جريدة بريطانية سياسية ، يومية . تصدر في لندن منذ عام ١٧٨٥ . لعبت دوراً مُهمًّا في تاريخ الصحافة . تتمتع بنفوذ واسع وسمعة عالمية . مازالت تصدر حتى الآن .

الدفء في جسدي » .

وكانت فيرا تنتظر مولودها الثاني بعد عدة أيام ، وتعرف ما يقلقني ؛ فقد شاركتني اهتماماتي السياسية ؛ منذ تعرفي إليها في جامعة جنيف ، وحضرت كل الاجتماعات التي عُقِدت في منزلنا .

وكنت هذا الصباح واثقاً بتحقيق بعض النجاح ؛ فقد طمأنني لويد جورج رئيس مجلس الوزراء في آخر مقابلة له . كما أن وزير الخارجية بلفور ؛ قد وعدني أنه سوف يفعل شيئاً هذه المرة – من أجل اليهود المساكين – داخل مجلس الوزراء . ولكن الحياة قد علمتني ألا يمتدح الإنسان اليوم قبل أن ينقضي ؛ كما يقول المثل الألماني ؛ فودَّعتُ زوجتي ، وانطلقتُ إلى ١٠ داونـنج ستريت (10, Downing Street) مقر مجلس الوزراء البريطاني . لكنني ارتعشت فور أن خرجتُ إلى الطريق ، ولسعتني رياح نوفمبر (تشرين الثاني) ، وتذكرتُ معارضة البريطانيين اليهود الفظيعة التي تملأ الصحف ، وارتجفتُ من البرد ؛ فقد كان البيان الذي وقعه دافيد ألكسندر وكلود مونتفيور مفزعاً لأصدقائنا من الساسة البريطانيين المتحمسين لقضيتنا . وهرعتُ إلى مقر مجلس الوزراء البريطاني ، وبقيتُ على مقربة من مكتب لويد جورج هذه المرة ؛ أنتظر نتيجة



١٠ داونـنج ستريت ، مقر مجلس الوزراء البريطاني

المناقشات ، وعزمتُ على البقاء بالقرب من قاعة الاجتماعات .

وكنت - في نهاية الجلسة السابقة - قد طلبتُ من كير (Ker) - أحد معاوني لويد جورج - السماح لي بحضورها ؛ فقد كنت متخوفاً من اعتراضات إدوين صموئيل مونتاجو الوزير البريطاني اليهودي ؛ فهو مُعادٍ لنا ، وربما يحتاج الوزراء لبعض الاستيضاحات عند بحث الوعد .

قال لي كير في لهجة حاسمة : « ياعزيزي وايزمن ؛ منذ كان في بريطانيا مجلس للوزراء ؛ لم يُسمَح لشخص من خارجه بحضور جلساته ؛ فاذهب إلى معملك ، وكن مطمئناً » .



وايزمن في معمله

خرجتُ من مكتبه ، ولم أقدر على الذهاب إلى معملي ؛ فذهبتُ إلى مكتب جور (Gore) - أحد مستشاري الوزارة - وكان على مقربة من مكتب لويد جورج رئيس الوزراء ، وبقيتُ معه فترة من الوقت .

وعلمت - فيمابعد - أن مونتاجو - الوزير اليهودي الوحيد في وزارة لويد جورج - قد عارض صيغة البيان ؛ فطلب « لويد جورج » استدعائي لأردَّ على ملاحظات مونتاجو واعتراضاته ؛ إذ كان يتحدث بصفته يهوديًّا ، وبحثوا عنِّي فلم يعثروا عليَّ ؛ برغم أنني كنت في مكتب جور . لقد ضاعت منِّي فرصة الرد على ادعاءات مونتاجو أمام الوزراء ، لكنني حمدت الله على عدم استدلالهم عليَّ ؛ وإلا لفقدت أعصابي وأنا أرد على افتراءاته ؛ وكنت أعرفها جيداً .

طمأنني لويد جورج وبلفور ، وأكدا أن الوعد التاريخي سوف يُنظَر في جلسة مجلس الوزراء التي تنعقد في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ ، وقبل حلول رأس السنة اليهودية .

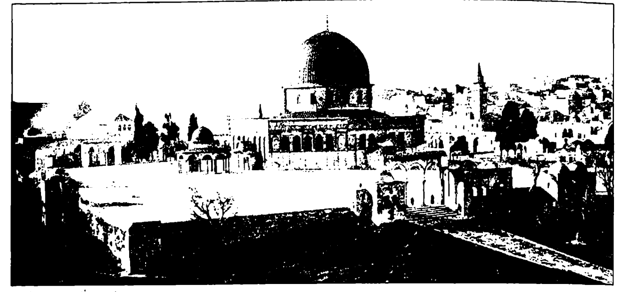
عيد رأس السنة اليهودية

اليوم الذي اعتبره اليهود بداية تقويمهم ، ويعتقدون أن الله بدأ فيه خلق العالم . وتستمر احتفالات اليهود بهذا العيد عشرة أيام ؛ يقومون خلالها بالصلوات ، ويحاسبون أنفسهم على ما فعلوه خلال العام الذي مضى . وهم يعتبرون أن اليوم العاشر من الاحتفالات هو يوم الغفران - أو يوم كيبور - الذي يغفر فيه الله خطاياهم . وتقع احتفالات رأس السنة اليهودية عادة في شهري سبتمبر (أيلول) أو أكتوبر (تشرين الأول) من كل عام .

وفجأة ؛ فُتِح باب قاعة الاجتماعات ، وأقبل عليَّ مارك سايكس مبتسماً ، وقدم إليَّ الوعد في صيغته النهائية ، وقال لي : « إن المولود صبي يادكتور وايزمن » . وقرأتُ الوعد في صيغته النهائية التي وافق عليها مجلس الوزراء ، وأدركتُ - لأول مرة - الفرق بين الصيغة السابق الاتفاق عليها ، والتي تنص على حق اليهود في إعادة حياتهم القومية في فلسطين ، وهذه الصيغة المعتمدة التي تنص على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

لقد نجح مونتاجو في تغيير معاني الوعد ؛ بحيث أصبح يؤكد إنشاء (وطن قومي) لليهود في فلسطين بدلاً من إقامة (دولة يهودية) في فلسطين ، واسترجاع الحقوق التاريخية لهم .

ولكنني أدركتُ - من الفور - أهمية هذه الوثيقة التي لايزيد عدد كلماتها على مئة كلمة ، وأثرها على الحركة الصهيونية في العالم ؛ فقُمْتُ إلى


المسجد الأقصى في مدينة القدس


الحاخام
كلمة عبرية تعني الرجل الحكيم ، وكانت تطلق على الفقهاء الذين أقاموا أنفسهم محافظين على الشريعة اليهودية .

الهاتف ، وأخبرتُ آحاد هاعام بما تم ، ثم اتصلتُ بزوجتي فيرا ، وطلبتُ منها الاستعداد لاستقبال زعماء الصهاينة والحاخامات هذه الليلة عندنا في المنزل ؛ للاحتفال بهذه المناسبة .

فأدركت فيرا أن الحكومة البريطانية قد صنعت شيئاً من أجلنا هذه المرة ، لكنها لم تصنعه بسهولة ، ولم تقدمه لنا إحساناً أو هدية . كان ذلك كله جهد ربع قرن من النشاط والعمل ؛ أجرينا خلاله الاتصالات مع الأطراف المتشاحنة ، وأظهرنا من أهدافنا في كل لقاء ما يناسب كل مقام .

لقد اضطررتُ للقيام بألْفَي مقابلة سياسية للحصول على وعد بلفور ، وكنت في كل مقابلة استخدم لغة مختلفة :

فمع المتديِّنين ؛ كنت أستشهد بآيات من التوراة ؛ عن بني إسرائيل والوعود التي قطعها إله بني إسرائيل لهم .

ومع الساسة البريطانيين ؛ كنت أتحدث عن قيام دولة يهودية صغيرة بجوار قناة السويس ؛ ترعَى مصالح بريطانيا في المنطقة ، وتقف في وجه الأطماع الفرنسية التي كشفت عنها الحملة الفرنسية .

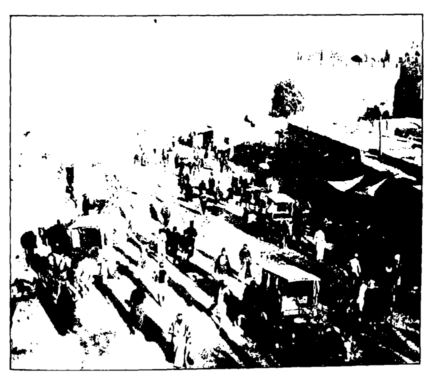
وكنت ألوِّح – لهؤلاء ومعهم كل حلفائهم – بالثمن الكبير الذي يمكن أن يدفعه أعداء بريطانيا ؛ إذا أعطيتُهم نتائج أبحاثي عن الأسيتون . وأشير إلى أن نفوذنا في أمريكا قد يساعد على دخولها الحرب ؛ فتنقذ الحلفاء ممَّا هم فيه .

وبالطريقة نفسها ؛ كان مكتب المنظمة في برلين يتحدث مع الألمان ، ويغريهم بأن تكون لهم دولة يهودية صديقة ؛ بالقرب من مواصلات عدوتهم التقليدية : بريطانيا .

ومع المتحررين من المسيحيين ؛ كنت أتحدث عن المذابح التي وقعت على اليهود في روسيا وفي وسط أوربا ، وأثير في نفوسهم العطف على الأماني القومية لليهود في إنشاء دولة لهم .

ومع رجال الفلسفة من أمثال بلفور ؛ كنت أتحدث إليهم في قضايا فلسفية وتاريخية تتعلق بتاريخ العالم ، وبقضايا اليقين ، والعلم ، ونهاية العالم وبداياته .

كنت أرتدي لكل مقابلة قناعها ، وألبس لكل مناسبة لباسها . وعندما قابلتُ الأمير فيصل بن الشريف حسين بن علي – أثناء الحرب – في العقبة ، تحدثتُ إليه عن تعاون اليهود والفلسطينيين ؛ في إرساء الحضارة وتطوير اقتصاد البلاد الذي سوف يعود بالخير على الجميع . فعلتُ ذلك كله ، وفي رأسي صدَى ما كان يقوله هرتزل : « فلكي نأخذ فلسطين ؛ كان علينا أن نقنع كل الطامعين فيها ، وفيما حولها من بلاد العرب ؛ أننا سنعمل لحسابهم » .



صورة لباب الخليل في بلدة القدس القديمة

مرَّت سنوات طويلة على ذلك الصباح الذي صدر فيه الوعد . واختلف الناس في تقييمه ، ولستُ أدري لماذا بقي في ذاكرتي من تلك الأحداث موقف صغير . ففي عام ١٩١٨ ؛ ذهبت لزيارة فلسطين ، وكان آحاد هاعام معي . وبعد أن تجولنا في أنحاء البلاد التي أخذنا وعداً بأن تكون لنا ؛ قال لي آحاد ذات غروب ؛ ونحن نتناول العشاء في شرفة فندق يطل على تلال القدس : « لقد كان هرتزل يتصور أن فلسطين بلد لا شعب له ، وكنتُ مثله أتخيل أنها مستنقعات » .

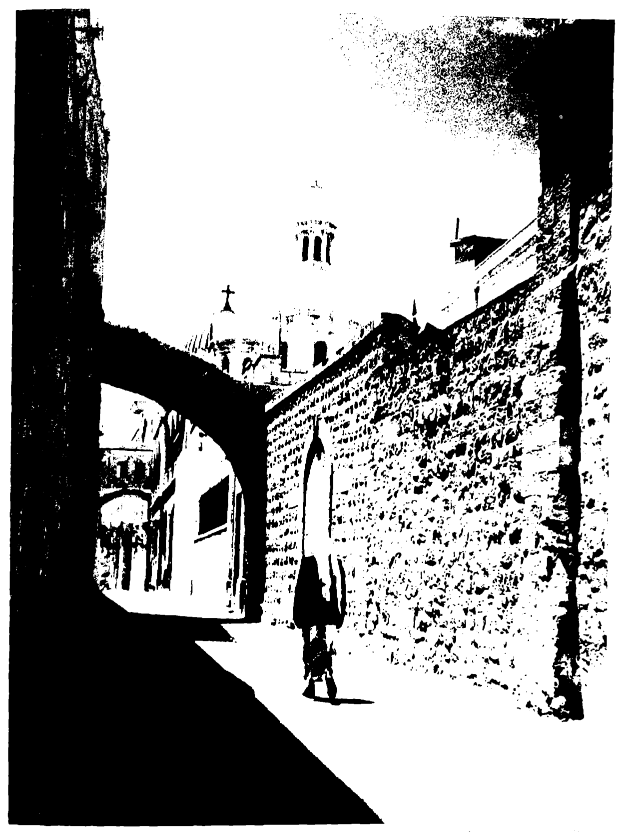
وصَمَتَ لحظة ، وقال : « هنا شعب وحضارة .. وأطفال وبرتقال .. فإذا أخذناها ، وطردناهم منها ؛ فنحن نرتكب ظلماً كبيراً .. ألا ترَى ذلك ؟ » .

لم أردَّ ، لكنني قلت لنفسي : « يجب ألا أضعف أبداً ، لستُ المسئول عن مستقبل هؤلاء الفلسطينيين . فليجدوا مكاناً آخر ، أو فليعودوا إلى الصحراء التي جاءوا منها » .

مدَدْتُ يدي ، تناولتُ برتقالة ، شقَقْتُها بالسكين .. فَعَلَ آحاد هاعام الشيء نفسه !



الفلسطينيون يجمعون البرتقال اليافاوي ، وهم أصحاب خبرة في زراعة البرتقال لا يجاريهم فيها أحد



درب الآلام في القدس القديمة حيث أخذ المسيح إلى مكان صلبه

النفايات والجوهرات والوعود
التي جمعتها عائلة روتشيلد

برغم كل الجهود التي بذلها حاييم وايزمن للحصول على وعد بلفور ؛ فقد صدر الوعد على شكل خطاب من اللورد بلفور إلى المليونير اليهودي السير ليونيل فالتر روتشيلد ، ولم يرد اسم دكتور الكيمياء – الذي أجرى ألفي مقابلة سياسية حتى حصل عليه – في أي وثيقة رسمية من وثائق الوعد .

وينتمي السير ليونيل إلى عائلة روتشيلد ؛ وهي واحدة من أشهر وأغنى العائلات اليهودية ؛ ملكت مليارات الجنيهات ، ومئات المصانع والمصارف والمشروعات ، ولعبت بأسواق المال ، وبسياسات الدول ، وحفرت اسمها في تاريخ الاستغلال والنهب الاستعماري .

وقد بدأ تاريخ آل روتشيلد في القرن السادس عشر في مدينة فرانكفورت الألمانية ، وازدهر نشاطهم على يد الجد الأكبر ماير روتشيلد (١٧٤٣ – ١٨١٢) ، وكان تاجراً للنفايات ، ثم انتقل إلى التجارة في العملات . واستغل الحروب التي نشبت بين دول أوربا – في أعقاب الثورة الفرنسية – في توسيع تجارته ؛ فأقرض الحكومات الأوربية مئة مليون جنيه إسترليني ، وسيطرت العائلة على تمويل أوربا سنوات طويلة .

وتفرق أبناء ماير الخمسة في خمسة بلاد أوربية هي بريطانيا وفرنسا والنمسا وإيطاليا وألمانيا ، وعملوا في كل شيء : بيع الملابس القديمة والأثاث وتجارة العملات وأعمال الصرافة . وفي القرن التاسع عشر ؛ أصبح آل روتشيلد يمولون مشروعات للمناجم والمعادن والنفط وخطوط السكك الحديدية ، ويقرضون الحكومات بفوائد باهظة .

وكان حاكم مصر الخديوي إسماعيل (١٨٣٠ – ١٨٩٥) أحد الذين اقترضوا من بنك روتشيلد الإنجليزي الذي يملكه ليونيل ناثان روتشيلد (١٨٠٨ – ١٨٧٩) . وعندما تراكمت الديون على إسماعيل ؛ فكر في أن يبيع نصيب مصر من أسهم قناة السويس ؛ وهي ١٧٦٠٠٠ سهم أي ٤٤٪ من أسهم القناة ؛ ليسدد بثمنها بعض فوائد ديونه . ولنشب الصراع بين فرنسا وإنجلترا للحصول على الأسهم . وأسرع المستر دزرائيلي – رئيس وزراء إنجلترا – إلى ليونيل روتشيلد وقال له : « إن الخديوي إسماعيل يعرض أسهم مصر في قناة السويس بأربعة ملايين من الجنيهات ؛ وهو ثمن بخس للغاية . ولكن البرلمان الإنجليزي معطل الآن ، ولا أستطيع أن أحصل على أي أموال من الخزانة دون إذن منه ؛ فهل تقرضني المبلغ ريثما ينعقد البرلمان ، والضمانة الوحيدة التي أقدمها لك هي كلمة شرف من رئيس وزراء بريطانيا العظمى ! » .

وبهدوء قام روتشيلد وأخرج من خزانته المبلغ المطلوب ، واشترت بريطانيا الأسهم ، وغرست أقدامها على شاطئ القناة .

وكان جيمس روتشيلد (١٧٩٠ – ١٨٦٨) مهتمًا باستثمار جانب من أمواله في شراء الأراضي في فلسطين ، وتحويلها إلى مستوطنات لليهود . وورث ابنه إدموند (١٨٤٥ – ١٩٣٤) حماس أبيه للحركة الصهيونية ، وفرغ نفسه لإدارة وتمويل المستوطنات ، ووضع جمعيات (عشاق صهيون) تحت رعايته .



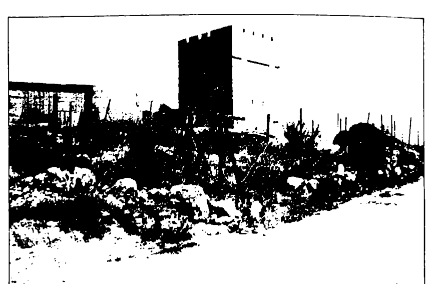
الخديوي إسماعيل

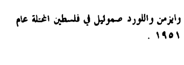
وظل يمول مشروعات الهجرة وإنشاء المستوطنات ، واستثمر سبعين مليون فرنك فرنسي ذهبي في إنشاء خمس وعشرين مستوطنة يهودية في فلسطين ؛ عمل بها آلاف اليهود يزرعون ويبنون ، ويربح هو ويثْرَى .

وكان ليونيل فالتر روتشيلد (١٨٦٨ - ١٩٣٦) - أحد أبناء عمومته - هو الذي قُدِّر له أن يقوم بمشاركة وايزمن في اتصالاته للحصول على تأييد بريطانيا للحركة الصهيونية ؛ فقد ولد بلندن ، ولم يَقُم بأي دور بارز في نشاط أسرته المالي .

وكان ليونيل أول عضو يهودي في مجلس العموم (١٩١٠ - ١٩٢٣) ، وكان رئيساً لفرع المنظمة الصهيونية في بريطانيا . وفي ١٨ يوليو (تموز) سنة ١٩١٧ ؛ كتب ليونيل رسالة إلى وزير الخارجية البريطاني اللورد بلفور ، وقدم بها صيغة الوعد من وجهة نظر ممثلي المنظمات الصهيونية ، وطلب موافقة الحكومة البريطانية على الصيغة المقترحة ، وكانت تنص على :

إحدى المستعمرات الصهيونية التي أنشئت في فلسطين خلال الفترة من عام ١٨٨٢ إلى عام ١٩٤٨ .





وايزمن واللورد صموئيل في فلسطين المحتلة عام ١٩٥١ .



وايزمن والقوات الصهيونية ، عام ١٩٤٨



١ – أن حكومة بريطانيا تقبل مبدأ إعادة تكوين فلسطين كوطن قومي للشعب اليهودي .
٢ – وأنها سوف تبذل مساعيها لتحقيق هذا الهدف ، وتبحث طرق تحقيقه مع المنظمة الصهيونية .
وفي أغسطس (آب) من نفس العام ؛ رد اللورد بلفور على رسالة اللورد روتشيلد برسالة قال فيها :

عزيزي اللورد روتشيلد :

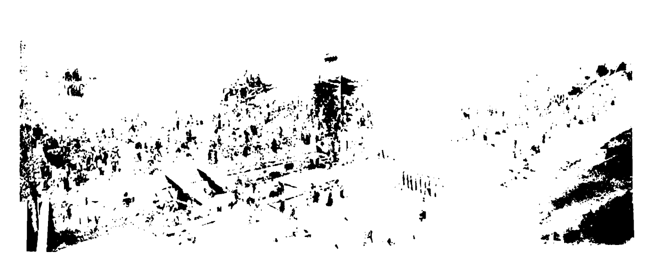
ردًا على خطابكم المؤرخ ١٨ يوليو (تموز) ؛ يسعدني أن أكون في مركز يسمح لي بأن أخبركم بأن حكومة جلالة ملك بريطانيا تقبل مبدأ إعادة تأسيس فلسطين كوطن قومي للشعب اليهودي .

إن حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا سوف تبذل مساعيها لضمان تحقيق هذا الهدف ، وهي مستعدة للنظر في أية اقتراحات خاصة بالموضوع ؛ ترغب المنظمة الصهيونية في عرضها عليه .

آرثر بلفور

وبعد أن أنهت الحكومة البريطانية مشاوراتها مع أمريكا ؛ صدر الوعد المنتظر في شكل خطاب أرسله اللورد بلفور إلى اللورد روتشيلد ، وهذا هو نص الخطاب الذي دخل التاريخ باسم تصريح بلفور :

عمليات حفر قناة السويس استمرت نحو عشر سنوات



نص تصريح بلفور

وزارة الخارجية

في الثاني من نوفمبر ١٩١٧ .

عزيزي اللورد روتشيلد

يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته ، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية ، وقد عرض على الوزارة وأقرته :

« إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ؛ على أن يفهم جديًا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى » .

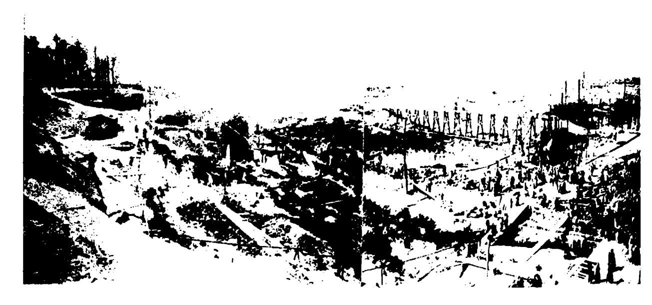
وسأكون شاكراً إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علماً بهذا التصريح .

المخلص :

آرثر بلفور

... ...

وهكذا جمعت أسرة روتشيلد في متحفها بين التجارة في النفايات وفي الوعود السياسية ؛ فاشترى أحد أفرادها أسهم قناة السويس لحساب بريطانيا ، وهجَّر الثاني اليهود إلى فلسطين ليكونوا حراساً للوجود البريطاني على شاطئ القناة !





إدوين صموئيل مونتاجو

ذلك الشرّ الذي بذرناه..

شهادة إدوين صموئيل مونتاجو

أنا إدوين صموئيل مونتاجو (Edwin Samuel Montagu) .

وُلِدْتُ في لندن في ٦ فبراير (شباط) ١٨٧٩ . وبعد أن أنهيتُ دراستي ؛ انضممتُ لحزب الأحرار البريطاني ، وكنت أحد نوابه في مجلس العموم . وفي عام ١٩١٧ – وكنت في الثامنة والثلاثين – اختارني لويد جورج وزيراً لشؤون الهند في وزارته .

عاصرتُ الأحداث التي انتهت بإصدار الحكومة البريطانية للبيان الذي عُرِف بوعد بلفور ، وأتاح لي منصبي في الوزارة الفرصة كاملة للاطلاع على الاتصالات التي كانت تدور بين زعماء الحركة الصهيونية ، وبعض أعضاء الوزارة ؛ بشأن هذا الوعد . وقد اعترضتُ بشدة على تلك الاتصالات ، وقدمتُ عدة مذكرات لمجلس الوزراء ؛ أوضحت فيها خطر الحركة الصهيونية على المصالح البريطانية ، وعلى اليهود أنفسهم .

وأشعر اليوم بأسىً بالغ ، فقد باءت جهودي كلها بالفشل ؛ إذ كان لويد جورج رئيس الوزراء ، وآرثر جيمس بلفور وزير الخارجية يؤيدان الحركة الصهيونية ويتحمَّسان لها .

ولويد جورج وبلفور يدينان بالمسيحية ، لكنني يهودي أعرف الشعائر جيداً ؛ كما يعرفها حاخامات اليهود في أية بقعة من العالم . ومنذ البداية نظرت إلى الأفكار الصهيونية بحذر . وكان معظم زعماء الحركة الصهيونية من الروس ، وقد ناقشت وايزمن ، وناحوم سوكولوف ، وآحاد هاعام ، وغيرهم من اليهود الصهاينة ، واستمعتُ لقصص الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في ظل الحكم القيصري لروسيا ، لكنني رفضتُ – دائماً – فكرة خروج اليهود البريطانيين والأوربيين من الجيتو الذي أجبرهم الاضطهاد على الإقامة بين حدوده إلى جيتو آخر هو فلسطين . فلقد هرب اليهود الأوربيون من الاضطهاد إلى شوارع خاصة يغلقون أبوابها على

إدوين صموئيل مونتاجو
(١٨٧٩ – ١٩٢٤)

سياسي بريطاني .

ولد في لندن لأبوين يهوديين .

انتخب عضواً في مجلس العموم عن حزب الأحرار لأول مرة عام ١٩٠٦ ، وبقي فيه حتى عام ١٩٢٢ .

تولى عدة مراكز أثناء الحرب العالمية الأولى أهمها في وزارة المالية .

عين وزير دولة لشؤون الهند في سنة ١٩١٧ .

أهم إنجازاته ؛ عمله على تحقيق الحكم الذاتي للهند .

عارض سياسة لويد جورج ضد تركيا لأنها أثارت مسلمي الهند ، ونشر عريضة لمجموعة من الوزراء الهنود ضد معاهدة سيفر ؛ فأقاله لويد جورج من منصبه .

حزب الأحرار البريطاني

حزب سياسي بريطاني نشأ للدفاع عن حرية التجارة .

كان الحزب المنافس الكبير لحزب المحافظين ، لكن نفوذه تقلص بعد الحرب العالمية الأولى ، وبزوغ حزب العمال .

من أشهر زعمائه جلادستون ، وبالمرستون ، وأسكويث ، ولويد جورج .

أنفسهم ، ويعيشون فيها وحدهم ، وجاء اليهود الصهاينة يدعونهم للفرار من الجيتو الصغير إلى جيتو أكبر نسبيًّا هو فلسطين . أما نحن (اليهود الاندماجيين) ؛ فقد رفضنا هذا المنطق الصهيوني ، ودعَوْنا اليهود لتحطيم أسوار كل المعازل ، والخروج إلى مجتمعاتهم والاندماج فيها ، والنضال لكي يحصلوا على حقوقهم كمواطنين ؛ يتساوون مع غيرهم في الحقوق والواجبات والفرص .

وأذكر أنني عرضتُ أفكاري تلك على السير كلود مونتفيور (رئيس الجمعية اليهودية البريطانية) ؛ فوافقني عليها ، وقال لي : « إن اليهود قد خرجوا من الأحياء اليهودية لينتشروا في العالم الفسيح ، ويجب ألا يعودوا إلى السجن ثانية داخل أي حدود جغرافية » .

إن الصهيونية فكرة خاطئة على كل المستويات . ونحن اليهود الاندماجيين نرفضها ، ونرفض الاعتراف بأن فلسطين مرتبطة باليهود ، أو مكان ملائم لكي يعيشوا فيه . حقًّا ؛ إن فلسطين لعبت دوراً في التاريخ اليهودي ، لكنها لعبت الدور نفسه بالنسبة للتاريخ الإسلامي والمسيحي . والمعبد اليهودي موجود في فلسطين ، وكذلك موعظة الجبل ، والمسجد الأقصَى .

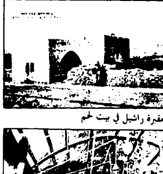
ولم تكن تلك آرائي وحدي ؛ بل كانت آراء معظم اليهود البريطانيين ؛ ففي بريطانيا اليوم - ١٩١٩ - أكثر من ثلاثمئة ألف يهودي . لكن الذين يؤيدون وايزمن والصهيونية منهم لايزيدون على ثمانية آلاف . ومن بين ثلاثة ملايين يهودي في الولايات المتحدة الأمريكية ؛ لم يعتنق المبادئ الصهيونية سوَى اثني عشر ألفاً . وعدد الصهاينة في العالم كله لايزيد على مئة وثلاثين ألفاً ، وهذا لايعطي زعماءهم الحق في الكلام باسم يهود العالم .

وعلى نقيض مايدَّعي وايزمن وزملاؤه ؛ فإن اليهود قد انزعجوا من دعوته ، وخافوا من نتائجها . وقال معظمهم إنها ستثير الحساسيات بينهم وبين مواطنيهم ؛ فالمواطن الألماني أو البريطاني أو الفرنسي ؛ لن ينظر بارتياح إذا وجد يهوديًّا من مواطنيه يريد التخلص من وطنه ؛ ليذهب إلى أرض أخرَى .

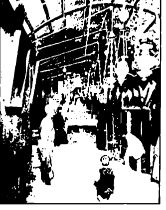
ومع أن وايزمن كان روسيًّا ؛ فإن كثيرين من اليهود الروس قد رفضوا دعوته ، وهاجم الاشتراكيون منهم الصهيونية ، وقالوا إنها تصرف



قبة الصخرة في القدس



مقبرة راشيل في بيت لحم



مغارة كنيسة المهد في بيت لحم

مجلس العموم البريطاني

يشكل هو ومجلس النبلاء (اللوردات) النصف المهم من البرلمان البريطاني .

ظهر لأول مرة في القرن الرابع عشر ، حين طالب الشعب بأن يمثله مندوبون من غير طبقة النبلاء .

للمجلس سلطات واسعة أهمها سن القوانين .





مدخل الجيتو في لودز

جيتو
لفظة إيطالية أطلقت في القرن السادس عشر على الحي اليهودي في مدينة البندقية ، ثم شاع استعمالها للدلالة على حارة اليهود في المدن الأوربية . تدل على العيش المنفصل ، ويراد بها (المعزل) ؛ حيث ينفرد اليهود الساكنون داخل جدرانه بحياتهم وشعائرهم الخاصة .

اليهود عن نضالهم ضد الرأسماليين الذين يستغلونهم ، وأعلنوا أن اليهود يُضطهَدون في روسيا وفي غيرها من بلاد أوربا ؛ بسبب الطغيان الفردي ، وأن على اليهود أن ينضمُّوا لمواطنيهم الذين يناضلون ضد هذا الطغيان ، وسوف تُحَلّ مشكلتهم آنذاك .

وفي فرنسا ؛ عارض الاتحاد الإسرائيلي – وهو منظمة تضم الفرنسيين اليهود – الصهيونية بشدة . وفي الولايات المتحدة ؛ عقد الحاخامات الأمريكيون مؤتمراً هاجموا فيه هرتزل ومقررات المؤتمر الصهيوني الأول . وقال لي يعقوب شيف (Jacob Sheiev) زعيم الجالية اليهودية الأمريكية : « إنني لا أستطيع أن أكون مخلصاً ، وصهيونيًّا في الوقت نفسه » .

وقد سمعتُ أقوالاً كثيرة بالمعنى نفسه ؛ من يهود ينتمون لمختلف أنحاء العالم . أما في بريطانيا ؛ فقد طالبتُ بسحب الجنسية البريطانية من البريطانيين اليهود الذين ينضمُّون لأي منظمة صهيونية . وأعلنتُ في وضوح

أن الصهيونية عقيدة سياسية ؛ لايمكن أن يؤمن بها أي مواطن بريطاني مخلص . وهؤلاء اليهود البريطانيون الذين ينتظرون بشوق يوماً ؛ ينفُضون فيه التراب البريطاني عن أحذيتهم ، ويسافرون إلى فلسطين ؛ ليسوا بريطانيين ، ولايجوز للحكومة البريطانية أن تعطي مواطناً بريطانيًّا الحق في دعوة البريطانيين للتنازل عن جنسيتهم .

والغريب أن زعماء الدعوة الصهيونية لم يكن بينهم بريطاني واحد ، ومع ذلك سمحت لهم الحكومة بأن يبشّروا بأفكار تدعو البريطانيين للانتماء إلى بلد غير بريطانيا ، والولاء لتراب غير التراب البريطاني . ولم يسمع لي لويد جورج أو بلفور ؛ برغم أنني كنت أتحدث كبريطاني يهودي ؛ وقد قلت لهما أثناء المناقشة : « إنني بريطاني يهودي ، ولست يهوديًّا بريطانيًّا ؛ فولائي الأول لوطني ثم لديني . وأنا أدعو اليهودي الروسي لكي يكون روسيًّا ، وعلى وايزمن أن يذهب إلى روسيا ؛ فلا شيء اسمه (القومية اليهودية) . إن أفراد أسرتي - مثلاً - عاشوا في بريطانيا عدة أجيال ، ولا يربطهم بأي أسرة يهودية - في أي بلد آخر - أي اتفاق في الرأي أو الذوق أو التقاليد . ولا يصحُّ القول بأن اليهودي البريطاني واليهودي المغربي ينتميان لأمة واحدة ! » .

ونظر إليَّ بلفور مليًّا ، ثم قال : « لكن وايزمن يقول إن اليهود مضطهدون ، ولاينبغي أن تتخلّى بريطانيا عن أقلية مضطهدة في العالم » .

وقاطعتُه - قبل أن يتمَّ كلامه - قائلاً : « ليس من حق وايزمن أن يتكلم باسم يهود بريطانيا ، أو يتدخل في شؤونها ؛ وهو ليس بريطانيًّا ، وليس من حقك ياسيدي اللورد بلفور أن تزعم أن أمر اليهود يهمُّك أكثر ممَّا يهمُّني » .

وتدخل لويد جورج محاولاً تهدئة حدَّة النقاش ، واستطردتُ أقول : « أنا لاأدري أين الاضطهاد الذي يقع على اليهود اليوم . نعم ؛ كان هناك اضطهاد لليهود في ظل الحكم القيصري في روسيا. لكن ذلك قد انتهى الآن . وأعلنت الثورة الروسية أنها ستساوي بين أتباع كل الأديان وأبناء كل القوميات . وأوضاع اليهود البريطانيين - الآن - أفضل من أوضاعهم قبل الحرب بمراحل ؛ فنحن نتعلم في المدارس الحكومية والجامعات ، ونلعب دورنا في السياسة ، وفي الجيش ، وفي الخدمة المدنية ؛ أكثر من ذي قبل . ولن تمرَّ سنوات حتى نكون قد اندمجنا تماماً في مجتمعنا . فلماذا يريد وايزمن

القومية .. والحركة القومية

عُرف مصطلح (الحركة القومية) في أوربا في أواخر القرن الثامن عشر ؛ عندما تحركت الشعوب الأوربية لتقضي على التجزئة الإقطاعية ، وتجمع أقسامها المختلفة في دولة سياسية موحدة . وتزعَّم الدعوة إلى ذلك الطبقة الوسطى الأوربية وكانت تريد تحطيم الحواجز التي تحول دون تبادل السلع وانتشار التجارة .

ويفرق المتخصصون في علم السياسة بين (القومية) و (الحركة القومية) ؛ فيشترطون توفر مقومات معينة حتى يمكن القول بأن جماعة من الناس تشكل قومية مستقلة . ومن هذه الشروط أن تكون لهم لغة واحدة ، وثقافة واحدة ، وتاريخ مشترك ، وأرض واحدة ؛ ومن هنا يرفضون اعتبار اليهودية قومية ؛ لأن شرطاً من هذه الشروط لم يتحقق فيها قبل أن تنشأ الحركة الصهيونية ؛ لتحاول اصطناع هذه المقومات ببعث اللغة والثقافة العبرية ، ثم الاستيلاء على فلسطين لتكون الأرض المشتركة التي يتجمع اليهود فيها .

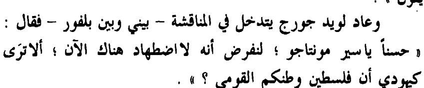
وقد استغلت الحركة الصهيونية ازدهار الحركات القومية في القرن الثامن عشر ، وحاولت أن تصور اليهود كقومية مستقلة لها الحق في المطالبة بوطن ، ولكن اليهود غير الصهاينة رفضوا ذلك ، كما أن الحركات القومية الأخرى ، لم تعترف به .

أن ينشئ حيًّا يهوديًّا في العالم يسمِّيه فلسطين ، وكيف يطلب منا أن نذهب إلى أرض سنكون فيها أجانب ؟ » .



يهود أشكناز من شرق أوربا

لم يردَّ أيٌّ من الرَّجُلَيْن . وقال بلفور بعد لحظة : « إن الدكتور وايزمن .. » . وعُدتُ أقاطعه ؛ قائلاً في انفعال : « إن صديقك وايزمن قد كفَّ عن حديث الاضطهاد ، وأعلن أن الصهيونية والمطالبة بالوطن القومي لم تنبعثا من اضطهاد اليهود ، وإنما هما وليدتا وطنية اليهود ، وحاجتهم إلى وطن واحد يجتمعون فيه . وهذا الوطن هو فلسطين .. وطنهم التاريخي كما يقول » .



وعاد لويد جورج يتدخل في المناقشة - بيني وبين بلفور - فقال : « حسناً ياسير مونتاجو ؛ لنفرض أنه لا اضطهاد هناك الآن ؛ ألا ترى كيهودي أن فلسطين وطنكم القومي ؟ » .



يهود مغاربة من فاس

فكرتُ لحظة في إنهاء المناقشة . كان واضحاً أن الرجلين قد كوَّنا رأيهما واستقرَّا عليه ، وأنهما يناوِران لكسب الوقت لا أكثر ؛ فقلتُ بفتور : « كيف تكون وطننا القومي ، وفيها مسلمون ومسيحيون ويهود ؛ هم أهلها منذ قرون طويلة ؟ وماذا نفعل في هؤلاء الذين يقيمون فيها ؟ أنطردهم ليحل محلهم يهود من روسيا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وأمريكا ؟ إن ذلك لن يحل مشكلة اليهود ؛ بل سيخلق مشكلة أخرَى » .

قال بلفور : « ياسير مونتاجو ؛ دَعْكَ من المشكلة الأخرَى ، وفسِّر لي كيف تعتبر منح اليهود وطناً لن يحل مشكلتهم ؟ » .

أيقنتُ أنه لا أمل في أن تسفر المناقشة عن شيء . ومع ذلك ؛ أجبْتُ بلفور عن سؤاله قائلاً : « إن فلسطين بلد صغير ، ولن يستوعب أكثر من ثلث يهود العالم اليوم ؛ حتى لو طردوا كل من يقيم بها من أهلها ؛ فماذا يحدث للباقين ؟ سيظلون في بلادهم ، ويصبح لزاماً على كل منهم أن يختار أمراً من اثنين : إما أن يذهب إلى فلسطين ويعيش مع يهود آخرين غرباء عنه ، أو يبقَى كضيف غير مرغوب فيه في بلده » .



مهاجرون من اليهود الأكراد

وأضفت متوجِّهاً بالحديث لرئيس الوزراء : « ياسيدي اللورد ؛ يوم تنشأ دولة يهودية على أرض فلسطين ؛ لن تعتبرني - أنت - بريطانيًّا ؛ لأن لي وطناً يهوديًّا في فلسطين ؛ يجب أن أذهب إليه . ولن أستطيع الذهاب إلى فلسطين ؛ لأنها لن تستوعب كل يهود العالم . وسينظر البريطانيون جميعاً لليهود البريطانيين النظرة نفسها ، ويعتبرونهم غرباء . والوطن الذي ستمنحونه لوايزمن ؛ لن يحل مشكلتنا نحن اليهود ، لكنه سيحل مشكلة

أخرَى أنتم أدرَى بها » .

لم يعلق أحدهما ، ولم يواجهني بلفور - كعادته - بأسئلته الاستفسارية . ولعله خشي أن يسألني تفسيراً لكلامي الأخير ؛ فأجابه بما أعلم . والحقيقة ؛ أن لويد جورج لم يكن يكترث باليهود ، ولا يهمُّه ماضيهم أو مستقبلهم ، ولم تكن المشكلة التي يسعَى لحلها مشكلتهم ، ولكنه كان يسعَى لحل مشكلة الإمبراطورية .

أصبحنا - نحن اليهود - لعبة في يد الدول الكبرَى ؛ تستخدمنا للحفاظ على مستعمراتها ، وتأمين طرق مواصلاتها . وكان لويد جورج - بالذات - يقول في جلساته الخاصة ؛ إن ترك الأماكن المقدسة في فلسطين تحت رحمة فرنسا ؛ يضرب نفوذ بريطانيا في الصميم .

تلك هي اللعبة التي لعبها وايزمن بذكاء واقتدار مع المعسكرين المتحاربين . لقد جعل من اليهود ألعوبة في يد الدول الكبرَى ؛ فأخذ يساوم كل معسكر . ولم تكن الكلمات المعسولة - التي قالها لبلفور ولويد جورج - سوَى نفاق ؛ فلم يكن يريد أن يخدم بريطانيا كما ادَّعَى ، ولم يكن يريد أن يحمي مصالحها . لقد كان مستعدًا لحماية أية مصالح لأي دولة كبرَى ؛ تعطيه الوعد الذي يحلم به .

كان الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في روسيا يلقي ظله على الحرب ، وخشي لويد جورج أن يتعاطف اليهود في بريطانيا وفرنسا مع أعدائنا الألمان ؛ بسبب كراهيتهم لحليفتنا روسيا القيصرية . وكان وايزمن قد أكد له أن إصدار وعد بمنح اليهود الحق في إقامة دولة على أرض فلسطين ؛ سيجعلهم جميعاً ينسَوْن الاضطهاد الذي تعرضوا له ؛ فيقفون مع بريطانيا ويؤيدونها في الحرب ؛ بل ويقف معها - أيضاً - اليهود النمساويون والألمان والأتراك ، ويساعدونها على هزيمة أوطانهم .

ومنذ بداية الحرب ؛ وزَّعت المنظمة الصهيونية جهودها بين الدول المتحاربة ؛ فظل المقرُّ الرئيسي لها في برلين ، وكان لها مكتب في الآستانة ، وآخر في كوبنهاجن ، وثالث في أمريكا . وكانت مهمة هذه المكاتب جميعها أن تعرض اليهود للبيع على كل الأطراف المتحاربة ، وأن تغري كل الدول بأن الصهاينة على استعداد لمساعدتهم في الحرب ؛ إذا مُنِحوا الوعد المنشود .

وبينما كان وايزمن يتصل ببلفور ، ويؤكد له أن إنشاء دولة لليهود في

فلسطين سيكون حماية حقيقية لقناة السويس ؛ كان مكتب المنظمة في برلين يتصل بأعدائنا الألمان والأتراك ، ويعرض عليهم نفس العرض . ودخلت المفاوضات بالفعل في دورها الجدي ، وأصبح منتظراً - بين لحظة وأخرَى - أن يصدر وعد تركي يضمن لليهود وطناً في فلسطين .

وقد تسرَّبت أنباء هذه المحاولة ؛ فذُعِر لويد جورج ، وخشي أن يؤدي هذا إلى قلاقل يقوم بها اليهود الصهاينة في بريطانيا ، وفرنسا ، وبقية الدول الحليفة لنا . وفي الوقت نفسه ؛ واصل المؤمنون بالأفكار الاستعمارية في فرنسا ضغطهم على حكومتهم ؛ حتى لاتتنازل عن أي جزء من الشام . ووجد لويد جورج أن إعطاء فلسطين لليهود هو الحل الوحيد لكل المشاكل .

كان الوعد صفقة رابحة ؛ عقدها وايزمن مع بلفور ؛ فربح أولهما وطناً وهميًّا لن يستطيع الاحتفاظ به ؛ مهما طال بقاؤه بين أيدي اليهود ؛ لأن أصحابه لن يتركوه ، وحمَى الثاني مصالح الإمبراطورية في قناة السويس . وذلك كله لاعلاقة له بالتوراة ، ولا بألواح موسَى ، ولا باضطهاد اليهود !

ولأن الموضوع كله كان صفقة ؛ فإن أحداً لم يسمع لي . وكلما احتجَجْتُ أو عارضتُ ؛ كان لويد جورج ينظر لي بدهشة . وفي كل مرة ؛ كنت أصرخ : « إنني البريطاني اليهودي الوحيد في الوزارة . وبما أن الأمر يتعلق ببريطانيا وباليهود ؛ فينبغي أن يضع مجلس الوزراء رأيي في اعتباره » .

لكن أحداً لم يسمع لما كنت أقول ؛ لأن الأمر لم يكن يتعلق باليهود أو ببريطانيا ، لكنه كان يتعلق بالأسواق ، والمستعمرات ، وبنفوذنا في قناة السويس وفي الهند ، ومنافسة فرنسا لنا في الشام . ولو كان الأمر يتعلق باليهود ؛ لما تصدَّى له بلفور الذي أصدر قرارات ضد هجرة اليهود إلى بريطانيا ؛ وقت أن كان رئيساً للوزراء .

ولم أكن وحدي في المعركة ضد الوعد ؛ فقد ساعدني (الاتحاد اليهودي البريطاني) ، ورئيسه كلود مونتفيور . وكان مونتفيور لا يكفُّ عن التنديد بوايزمن ومدرسته ، ويعلن أن اليهود مجموعة دينية لا أكثر ، وليس لهم الحق في وطن قومي ، وكل مايمكن منحهم إيَّاه هو الحرية الدينية والمدنية ، وتسهيلات معقولة للهجرة والاستيطان .

ولقد ظننْتُ - فترة - أنني عطلتُ إصدار الوعد ؛ فقد خفَتَ

الحرية الدينية

جزء من الحريات الأساسية الملازمة لحقوق الإنسان ، والتي يجب أن يتمتع بها في كل زمان ومكان .

انتشرت الدعوة لهذا المبدأ بعد الثورات الأوربية المعادية للحكم المطلق .

وينص على حرية الفرد في أن يعتنق أي مذهب ديني يؤمن به ويمارس شعائره .

ولا يحق للدولة التدخل في هذا الموضوع ، أو أن تشجع حركة دينية معينة ، أو أن تفرق بين الحركات الدينية التي يعتنقها مواطنوها .

الحرية المدنية

جزء من الحقوق المدنية التي لا تتدخل الحكومة فيها ؛ وخاصة مايتناول حرية الفكر قولاً وكتابة ، والاجتماع ، والمعتقد الديني ، والتعليم والتعلم .

الحديث عنه في دوائر وزارة الخارجية ، ولم نعُد نسمع عنه شيئاً في مجلس الوزراء . وسرعان ما اكتشفتُ خطئي ، وعلمتُ أن هناك اتصالات قامت بها الحكومة البريطانية مع فرنسا وأمريكا بشأن الوعد ، وكان هذا هو السبب في خفوت الحديث عنه . لم يجسر لويد جورج على إصدار الوعد ؛ دون أن يحصل على موافقة الفرنسيين والأمريكيين عليه .



لويس براندیز
(١٨٥٦ - ١٩٤١)

زعيم صهيوني أمريكي .
ولد في الولايات المتحدة الأمريكية .
رشحه ويلسون لعضوية المحكمة العليا الأمريكية عام ١٩١٦ .
كان عضواً بالمنظمة الصهيونية العالمية .

في أمريكا ؛ قام براندیز (Louis Brandeis) – رئيس اللجنة التنفيذية المؤقتة لشؤون الصهيونية العامة في واشنطن – بتوثيق علاقته بالرئيس الأمريكي ويلسون (Wilson) ، وترك الحزب الجمهوري ، وأصبح من أبرز وأهم مستشاريه .

وقبل أن يصدر لويد جورج الوعد ؛ أرسل يجسُّ نبض الحكومة الأمريكية . وشعر ويلسون بالحرج ؛ لأن الوعد يتناقض مع الشروط التي دخلت أمريكا على أساسها الحرب ؛ وعلى رأسها منح الشعوب الخاضعة لأي سيطرة استعمارية حق تقرير المصير ، لكن براندیز أثبت كفاءته ، ونجح في الحصول على موافقة ويلسون .

وأؤكد على مسئوليتي ؛ أن موقف الرئيس الأمريكي كان حاسماً ، ولم يكن لويد جورج يستطيع إصدار الوعد دون موافقة ويلسون الذي نسي الوعد الذي قطعه على نفسه ؛ بإعطاء حق تقرير المصير لكل الشعوب الصغيرة ؛ فمنح أرض شعب فلسطين لآخرين يريدون أن يهربوا من أوطانهم .

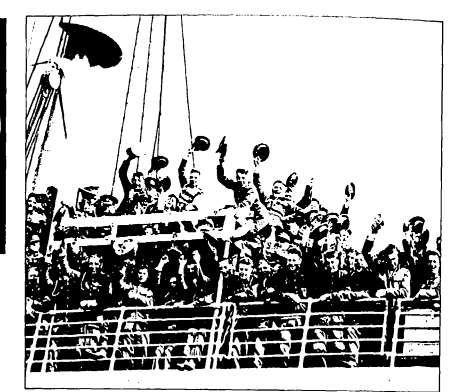
وعندما وصلت الموافقة الأمريكية على إصدار الوعد ؛ تحرك الموضوع بسرعة .

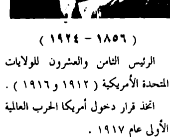
الحزب الجمهوري

حزب سياسي أمريكي تأسس عام ١٨٥٤ .
أحد الحزبين الرئيسيين في الولايات المتحدة الأمريكية اللذين يتوليان قيادة أمريكا السياسية ، والحزب الثاني هو الحزب (الديمقراطي) .
لعب الحزب الجمهوري دوراً فعالاً – في تحرير الزنوج – بقيادة (إبراهام لنكولن) الذي انتخب رئيساً للجمهورية في عام ١٨٦١ .
يمثل الرأسمالية الكبيرة ورجال الأعمال .

وفي جلسة ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩١٧ ؛ اجتمع مجلس الوزراء البريطاني ؛ ليدرس مشروع البيان الذي تتطلع الحركة الصهيونية إليه ، وتتعجل إصداره . ووزَّعتُ على الوزراء ثلاث مذكرات تتضمن رأيي في الموضوع . وخدمني الحظ لأن مشاغل طارئة منعت لويد جورج وبلفور من حضور الاجتماع ؛ فنجحتُ في سحب المشروع من جدول الأعمال . وأسرع وايزمن في اليوم التالي ؛ فقابل بلفور . وبعد أسبوع آخر ؛ قابل لويد جورج ؛ فوعده بنظر الموضوع في الاجتماع التالي الذي سيعقده مجلس الوزراء .

وكثّف وايزمن جهده ، وأبرق إلى براندیز في أمريكا . وعاود





(١٨٥٦ - ١٩٢٤)
الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية (١٩١٢ و ١٩١٦) .
اتخذ قرار دخول أمريكا الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٧ .
أصدر نقاطه الأربع عشرة عام ١٩١٨ ؛ لكي تكون أساساً للتسوية السلمية العادلة بعد الحرب ، وفشل في الحصول على موافقة الأكثرية اللازمة للتصديق على معاهدة فرساي في مجلس الشيوخ الأمريكي .

أمريكا : العزلة وحق تقرير المصير
ظلت الولايات المتحدة الأمريكية بمعزل عن السياسة الدولية بين عامي ١٨٢٣ و ١٩١٧ ؛ إذ حدث في سنة ١٨٢٣ أن تدخلت بعض الدول الأوربية في شؤون بعض جمهوريات أمريكا اللاتينية ؛ فأرسل الرئيس الأمريكي – وقتذاك – جيمس مونرو رسالة إلى الكونجرس الأمريكي تضمنت ما عرف بـ (مبدأ مونرو) ؛ وهو يقضي بمنع الدول الأوربية من الاستيلاء على أرض أمريكية بالاستعمار أو الضم أو المبادلة . ومقابل ذلك انسحبت أمريكا من السياسة الدولية ، ولم تشترك في المنازعات التي نشبت بين الدول الأوربية في القرن،

براندیز الاتصال بالرئيس الأمريكي ويلسون . وكان وايزمن يعرف أن لويد جورج على استعداد لإصدار الوعد ؛ إذا لم يعترض الأمريكيون .

كانت الحرب قد أنهكت قوات الحلفاء . ودخلها الأمريكيون بكل قوتهم ، فغيَّروا ميزانها لصالح الحلفاء . ولم يكن لويد جورج يجسر على إصدار وعد مثل هذا ؛ دون أن يتلقّى تأييداً صريحاً من حلفائنا الأقوياء .

وفي جلسة مجلس الوزراء الثانية في ٤ أكتوبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ ؛ ألقيتُ كلمة طويلة ؛ فنَّدتُ فيها كل كلمة وردت في الوعد ، وهاجمتُ أفكار وايزمن . وقلتُ إن اليهود لايريدون أن يكونوا وقوداً للصراع بين الدول ، وأنه لامصلحة لهم في أن ينتزعوا أرضاً من أصحابها ، وأن على المخلصين ؛ لدين موسَى ولعلم بريطانيا ؛ أن يعملوا من أجل منح اليهود حقوقهم في أوطانهم ، وتشجيعهم على الاندماج مع مواطنيهم . وبلغ تأثُّري – وأنا أتكلم محذِّراً من الصهيونية – أنني بكيت .

وملكت الحيرة كلًّا من بلفور ولويد جورج ، ولم يعرفا مايقولان ؛ فأرسلا في طلب وايزمن ليردَّ عليَّ ؛ فلم يعرفا مكانه . ومع أن حماسي للدفاع عن رأيي – إلى درجة البكاء – لم ينجح في إلغاء التصريح ، لكنه أحدث بعض التغييرات فيه .

كان المشروع الذي قدمه وايزمن يتضمن فقرة تقول (حق اليهود في إعادة حياتهم القومية في فلسطين) ، وتكلم بيان الحكومة البريطانية عن (إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين) ، وقد اعتبر الصهاينة أن ذلك تغيير جوهري في مشروعهم ؛ لأن النص الذي قدموه يعني اعترافاً ؛ بأن فلسطين كانت لهم في الماضي ، وأنهم عائدون إليها ، لكن النص الجديد كان يعني شيئاً مختلفاً .

وكان التغيير الثاني الذي حدث ؛ هو تغيير عبارة (الشعب اليهودي) - التي وردت في مشروع وايزمن - إلى عبارة (الجنس اليهودي) . وقد استطاع وايزمن بعد ذلك أن يعيد عبارة (الشعب اليهودي) إلى التصريح ، لكنه لم ينجح في إعادة الفقرة الأولَى إلى مكانها .

ولم أشهد هذا الفصل من قصة التصريح . كنتُ قد سافرتُ إلى الهند لمزاولة بعض مهامِّ وظيفتي وزيراً لها . وهناك قرأتُ نص التصريح ؛ بعد أن وافق عليه مجلس الوزراء في جلسة ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ ؛ فتساقطت دموعي .

أدركتُ أن زمناً جديداً من الدماء والنيران سيحيط بنا نحن اليهود ، وأن بذور الشر التي ألقَى بها بلفور في أرض فلسطين ؛ ستثمر أشواكاً ودماً ودموعاً .

وخلال الحرب العالمية الأولى ؛ هددت الغواصات الألمانية التجارة الأمريكية ؛ فاشتركت أمريكا في الحرب . وأعلن الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون - في خطاب ألقاه في يناير (كانون الثاني) ١٩١٨ - شروط أمريكا لدخول الحرب ؛ وهي الشروط التي تعرف بشروط ويلسون .

وكان حق تقرير المصير هو أهم هذه الشروط من وجهة نظر الدول الخاضعة للاحتلال ؛ فقد جاء في تصريحات الرئيس ويلسون أنه يجب رعاية مصالح السكان ورغباتهم عند الفصل في الطلبات الخاصة بالسيادة وتبعية الأراضي .

ولم يتمسك الرئيس ويلسون بتطبيق شروطه بعد انتهاء الحرب . وبعد انتهاء مؤتمر الصلح ؛ رفض الكونجرس الأمريكي إقرار معاهدة الصلح ، أو الموافقة على الاشتراك في عضوية عصبة الأمم . وعادت أمريكا إلى تطبيق (مبدأ مونرو) من جديد حتى نشبت الحرب العالمية الثانية .

المنظمة الصهيونية العالمية

تأسست المنظمة الصهيونية العالمية في عام ١٨٩٧ ؛ بمقتضى قرار صدر عن المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقد في السنة نفسها . فقد أدرك المؤتمر أن تنفيذ المخطط الصهيوني يكاد يكون مستحيلاً إذا لم ينشئ منظمة تقوم بجمع الأموال ، وتجميع الأنصار ، ونشر الفكرة الصهيونية بين اليهود ، وتنظيم عمليات الهجرة ، والتفاوض باسم الصهاينة مع الدول الأخرى . وكانت المنظمة تقبل كل من يوافق على مقررات مؤتمر بال عضواً بها .

ويعتبر المؤتمر الصهيوني هو المؤسسة العليا للمنظمة الصهيونية . وقد حضر المؤتمر الأول ٢٠٤ مندوبين يمثلون مختلف الجمعيات الصهيونية في العالم ، وقام هؤلاء المندوبون بانتخاب (اللجنة التنفيذية) للمنظمة من سبعة أعضاء ، كما انتخب (المجلس الصهيوني العام) .

واختصت (اللجنة التنفيذية) بإدارة شؤون المنظمة ، وذلك من خلال دوائر وظيفية تختص كل منها في مجال معين ؛ كالهجرة ، وجمع المال ، والاتصالات السياسية . أما (المجلس الصهيوني العام) ؛ فكان يقوم بدور المؤتمر في فترات عدم انعقاده .

قامت المنظمة بدعوة المؤتمر الصهيوني للانعقاد مرة كل سنة بين ١٨٨٧ و ١٩٠١ ؛ لتطرح عليه ما أنجزته من خطوات لتحقيق المقررات التي يتخذها .

ولم تكن المنظمة هي الممثل الوحيد لليهود ، إذ كان اليهود الرافضون للصهيونية يستقلون بجمعيات خاصة بهم ، ويرفضون التعاون مع المكاتب التي أنشأتها في مختلف دول أوربا .

وعندما اختلف أعضاء المؤتمر الصهيوني الرابع حول مشروع شرقي إفريقية ؛ تعرضت المنظمة الصهيونية للتصدع ، وتزعم وايزمن وسوكولوف حركة منفصلة في بريطانيا نجحت في الحصول على وعد بلفور عام ١٩١٧ ، وقد أدى ذلك إلى انتخاب الأول رئيساً للمنظمة في عام ١٩١٩ ؛ فأعاد توحيدها .

وفي عام ١٩٢٢ ؛ أنشأت المنظمة فرعاً لها في فلسطين باسم (الوكالة اليهودية) ؛ ليقوم بالتعاون مع سلطات الانتداب البريطاني في وضع وعد بلفور موضع التنفيذ . وقد اهتمت المنظمة بأن تنشئ ذراعاً مالية لها ؛ فأنشأت الصندوق القومي اليهودي في عام ١٩٠٣ ؛ ليساعدها على شراء الأراضي وإنشاء المستوطنات ؛ على أن يقوم بتأجير الأرض إلى المستوطنين اليهود ؛ بشرط ألا يستخدموا العمال العرب ، أو يعيدوا تأجيرها لغير اليهود . كما أنشأ الصندوق شركات فرعية له في كل من الولايات المتحدة ، ولندن لجمع الأموال التي يمول بها نشاطه .

وبالإضافة لقيام المنظمة بدعوة المؤتمر الصهيوني للانعقاد ؛ فقد قامت بدور مهم منذ إنشائها حتى إعلان الدولة الصهيونية في عام ١٩٤٨ ؛ فأنشأت جهازاً قويًا لجمع المعلومات السياسية والاقتصادية والعسكرية عن فلسطين والأقطار العربية الأخرى ؛ لاستخدامها في خدمة الأهداف الصهيونية ، كما نظمت حملات جمع الأموال ؛ وخاصة من أمريكا لتمويل الهجرة والاستيطان . واستطاعت أن تؤكد نفوذها في أجهزة الإعلام الغربية بشراء الصحف وتمويل إصدارها وتوجيه

مبنى الوكالة اليهودية والصندوق القومي اليهودي في القدس



المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرون في جنيف .
يظهر في الصورة وايزمن وديفيد بن جوريون .

سياساتها . وقامت أيضاً بإجراء المفاوضات السياسية مع الدول الكبرى للحصول على كل المساعدات التي تمكنها من تحقيق أهدافها .

ومنذ وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني عام ١٩٢٢ ، ركزت المنظمة الصهيونية العالمية دورها على العمل بين يهود العالم ، ومحاولة الحصول على مزيد من التأييد السياسي الدولي لهدف إنشاء الوطن القومي الصهيوني ؛ في حين قامت الوكالة اليهودية بالدور الأكبر في تنفيذ المخطط الصهيوني داخل فلسطين ذاتها .

وعندما أعلنت الدولة الصهيونية ؛ اقتصر نشاط الوكالة اليهودية على تنظيم جهاز جباية الأموال الصهيوني في العالم ، وأنشأت لها قسماً في أمريكا في عام ١٩٦٠ يساعد في جمع التبرعات من يهود الولايات المتحدة .

ومازالت المنظمة الصهيونية العالمية تعمل حتى الآن ، وهي تتعاون مع حكومة إسرائيل ، وتسيطر على النشاط الصهيوني في جميع أنحاء العالم ، وتعتبر مصدر القوة الأساسي للصهيونية كحركة سياسية ، والدولة الصهيونية باعتبارها التجسيد العملي لهذه الحركة .



الشريف حسين بن علي

... ذلك الزحام من الوعود الباطلة

شهادة الشريف حسين بن علي ملك الحجاز

أنا الشريف حسين بن علي أمير مكة ، وملك الحجاز ؛ أروي في هذه الصفحات عن وعد مكماهون لي ، وعن وعد سايكس لبيكو ، وعن وعد بلفور لليهود ؛ ذلك الزحام من الوعود الباطلة ، المتضاربة ، والمتناقضة التي وقعت في النهاية فوق رأسي ، وألقت بي فوق طراد بريطاني إلى منفاي هنا في جزيرة قبرص .

عند غروب كل يوم ؛ أخرج إلى شرفة قصري . أتأمل الشمس ؛ وهي تغيب في زرقة البحر ، وأتطلع بمنظاري المكبر إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط ، أحاول أن أرَى حدود سوريّة ، أو موانئ فلسطين . وتتدافع إلى ذهني كلمات من رسائل مكماهون لي ، وتتداخل معها سطور من رسائلي له ، وحروف من خطابات ستورز ، وبضع كلمات من تصريح كتشنر . ويختلط الأمر عليَّ ، وتتدافع الأسئلة في رأسي : هل وعدني مكماهون بالدولة العربية المستقلة ، أم لم يَعِدْ ؟ وإذا كان قد وعد ؛ فلماذا اتفق سايكس مع بيكو على تقسيم تلك الدولة بينهما ؟ ولماذا منح بلفور الصهاينة وعداً بإعطائهم فلسطين ؛ وكان سايكس قد أعطاها لبيكو ؟

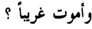
وتظل الأسئلة تثقل على رأسي ؛ حتى تغرق الشمس في مياه البحر ؛ فتلوِّن سطحه الأزرق بلون الدماء النازفة .

آنذاك ؛ أغادر الشرفة إلى داخل القصر ؛ فأعود لأوراقي القديمة ؛ أشمُّ عطر الوعود ؛ فإذا بالزمن قد ذهب بكل شذاه . وأتذكر أيام الثورة ؛ حين كان حلم الاستقلال يملأ كل خلايا العقل ؛ فيخفق قلبي العجوز المثقل بالأحزان . فهل يُقدَّر لي أن أعيش لأرَى يوماً آخر من أيام الثورة ؛ حتى لو كان آخر أيام العمر ؟

أتراني سأودِّع الحياة في المنفَى ، كما استقبلتُها في المنفَى ؛ فأولَد غريباً

الحسين بن علي
(١٨٥٤ - ١٩٣١)
أمير مكة وملك الحجاز .
ولد في إستانبول ، وكان سلطان تركيا قد نفى والده إليها .
غادر منفاه عام ١٩٠٨ ؛ ليكون أميراً على مكة .
استطاع أن يحصل على ولاء القبائل العربية المحيطة بمكة ، وأن يستقل بشؤونها بعيداً عن السيطرة العثمانية المباشرة .
أجرى مفاوضات سرية مع بريطانيا أثناء الحرب الأولى ؛ انتهت بقيادته الثورة العربية ضد الأتراك عام ١٩١٦ ؛ باتفاق مع الحلفاء الذين وعدوه بعرش دولة عربية مستقلة .
بعد الحرب ؛ لم تنفذ بريطانيا وعدها ومنحته لقب (ملك الحجاز) فقط .
في عام ١٩٢٤ ؛ أيد البريطانيون منافسيه على العرش ، ونفوه إلى جزيرة قبرص حيث عاش السنوات الأخيرة من حياته .

مكة حيث توجد الكعبة المشرفة



وأموت غريباً ؟

أتكون تلك نهاية رجل مثلي ؛ عاش يحلم بدولة عربية مستقلة ؛ فيأبى القدر إلا أن يولد على أرض غريبة ، ويُدفَن في أرض ليست عربية ؟

كان أبي منفيًّا إلى إستانبول ؛ حين وُلِدْتُ في عام ١٨٥٤ . عِشْتُ بها طفولتي ، وعرفت الأتراك الذين كانوا يحكمون معظم أنحاء الوطن العربي ، ورأيت كثيراً من المظالم التي أوقعوها بنا نحن العرب . وحين غادرتُها لأعيش في رعاية عمِّي أمير مكة ؛ اضطررت للعودة إليها ؛ بسبب الخلافات حول كرسي الإمارة بين فروع أسرتنا ؛ فعِشْتُ فيها بين سنتي ١٨٩١ و ١٩٠٨ .



الشريف حسين بن علي مع عدد من طلبة الجامعة الأمريكية ببيروت

لقد عانينا - نحن العرب - عدة قرون من ظلم واستبداد الحكم التركي ؛ إذ فاق ظلم الأتراك في عهد السلطان عبدالحميد الثاني كل حد . انتشر الفساد والرشوة والظلم في كل أرجاء السلطنة ، وشاع النهب والسلب ، وفسدت الإدارة إلى الحد الذي لايطاق ، وعمَّت المجاعات ،



إستانبول على خليج البوسفور

وانتشرت الأوبئة .

وكان العرب في فلسطين وسوريَة ولبنان يطلقون على الأتراك مقولتهم الشهيرة (ثلاث خلقن للجور والفساد ؛ القمل والترك والجراد) ، وخزانة السلطنة خاوية ، ولا يجد السلطان من سبيل إلى زيادة موارده المالية سوَى زيادة الضرائب على كاهل المزارعين ، والحرفيين ، والعاملين من العرب .

عِشْتُ في إستانبول ستة عشر عاماً ؛ رأيتُ فيها الإمبراطورية العثمانية ؛ وهي تشيخ وتتهاوَى وتتدهور أحوالها . ورأيتُ النفوذ الألماني ؛ وهو يتسلل إلى مرافقها الحيوية ؛ فيمتلكها ، وسمعت كثيراً عن الجماعات الثورية والانقلابية التي شكلها الأتراك للتخلص من ظلم السلطان عبدالحميد وطغيانه ، وسيطرة جواسيسه على كل شيء .

وخلال تلك الفترة ؛ اكتشفتُ أن الأتراك لايحترمون رابطة الدين التي تجمعهم بنا ، ولا يعاملوننا – نحن العرب – كإخوة في الدين والوطن ؛ بل تعاملوا معنا كما يتعامل كل مستعمر مع الشعوب التي يحتلها ؛ ينهبون ثرواتنا ، ويعاملوننا باحتقار ، ويفضلون أي تركي – مهما كانت قيمته – على أي عربي ؛ أيًّا كانت مكانته .

وفي عام ١٩٠٨ ؛ نَجَحَت إحدَى الجمعيات الثورية التركية ؛ وهي جمعية (الاتحاد والتَرَقّي) في الضغط على السلطان عبدالحميد ، وأجبرته على إيقاف مظالمه ، وتسريح جواسيسه ، والحكم بالدستور والقانون ، وإنشاء مجلس المبعوثان (النواب) .

تفاءلتُ ؛ حين تولَّى الاتحاديون الحكم ، وظننتُ – ومعي معظم

عبد الحميد الثاني
(١٨٤٢ - ١٩١٨)

سلطان عثماني ؛ حكم الإمبراطورية التركية بين عامي ١٨٦٧ و١٩٠٩ .

ولد في إستانبول ، وتولى العرش في مرحلة تعرضت فيها تركيا للتدخل الأوربي في شؤونها .

بعد أن استولى الفرنسيون والبريطانيون على بعض الأقطار العربية التابعة للإمبراطورية ؛ اتجه للتحالف مع ألمانيا .

لم يستطع أن يواجه ما يحيط بالإمبراطورية من مؤامرات ، وأساء معاملة الشعوب التي تتألف منها ؛ مما أدى إلى تفككها .

عزلته جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٩ .

العرب - أن الأوان قد جاء ليكفّ الأتراك عن اضطهادنا ، وعن إرسال الولاة القساة الأغبياء ليحكمونا . وأكد هذا الظن - في نفسي - أن الاتحاديين فكّوا أسْرِي ، وعيَّنوني أميراً على مكة ، برغم معارضة السلطان عبدالحميد .

وسرعان ماتهاوت أحلامنا - نحن العرب - في جمعية الاتحاد والترقي ، وكشفت الأيام عن وضع لايختلف كثيراً عمَّا سبقه ؛ فقد أشرف الاتحاديون على إجراء أول انتخابات لأول مجلس للمبعوثان (النواب) ؛ في ظل دستور ١٩٠٨ ؛ فتحيَّزوا للأتراك على حساب الأجناس الأخرَى التي تحكمها تركيا . ولم يَفُزْ من العرب سوَى ستين عضواً ، وأخذ الأتراك مئة وخمسين مقعداً ؛ برغم أن العرب كانوا يشكلون أكثر من نصف سكان الإمبراطورية .

وفي عام ١٩٠٩ ؛ انفرد الاتحاديون بالحكم في تركيا ، وخلعوا السلطان عبدالحميد ؛ فأقاموا حكماً لايقل في طغيانه عن حكم عبدالحميد . وحلُّوا الجمعيات العربية التي كانت تدعو لإعطاء العرب حقوقهم في إدارة أقطارهم بأنفسهم ، وحلُّوا حتى تلك الجمعية الوحيدة التي كانت تدعو للإخاء بين العرب والأتراك .

تخلَّى الاتحاديون عن مبدأ المساواة بين الأجناس التي تتبع الإمبراطورية التركية ، وحكموا الدولة على أساس سيادة العنصر التركي ، وظهرت بينهم حركة تنادي بالقومية التركية ؛ فازداد إذلالهم للعرب ، وتعاليهم عليهم . وكان ردُّ فعل العرب أن أنشأوا الجمعيات والأحزاب السرية ؛ بعضها في إستانبول والآخر في دمشق أو بيروت ؛ تعمل كلها لإنقاذ العرب من ظلم الأتراك وتَسَلُّطهم ، وتدافع عن حقهم في الاستقلال ببلادهم .

لم أكن قريباً من تلك الاتجاهات ؛ فقد انهمكت منذ تولَّيْتُ إمارة مكة ؛ في تنظيم شؤونها ، والقبض على زمام السلطة فيها . وكنت أعرف أن الأتراك لايعيشون إلا لأننا ضعفاء ؛ ففاوضتُ القبائل التابعة لإمارتي ، ووحَّدتُ بينها في ظل عرشي ، ولم أترك للوالي الذي عيَّنته حكومة إستانبول أي سلطة أو نفوذ .

وكنتُ أعتمد على ابني الأوسط الأمير عبدالله ؛ في معرفة كل



فيضي العلمي ممثل القدس في مجلس المبعوثان



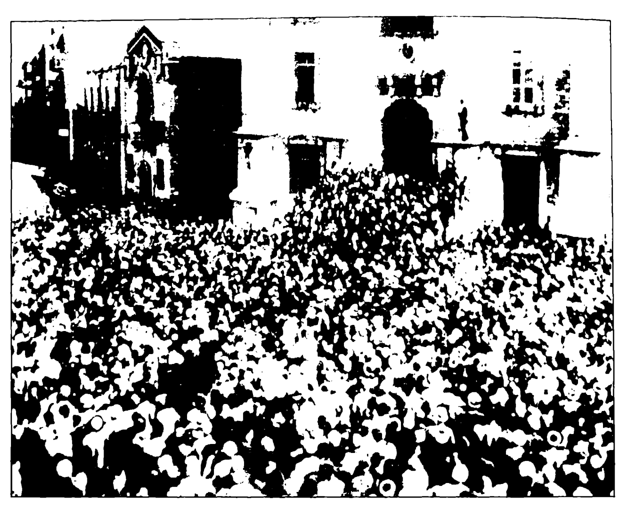
الشيخ أسعد الشقيري ممثل عكا في مجلس المبعوثان

مجلس المبعوثان

هو الاسم الذي كان يطلق على الهيئة التشريعية (البرلمان) في تركيا .

تألف مجلس المبعوثان عام ١٩٠٨ من مجلس النواب ومجلس الأعيان (الشيوخ) وبلغ عدد أعضائه مئة وعشرين ؛ يمثلون أقاليم الإمبراطورية العثمانية بنسب مختلفة . كان من ضمنهم ثمانية أعضاء فقط يمثلون الأقاليم العربية .

بعد إلغاء السلطنة حل محله المجلس الوطني .



حشد كبير من الفلسطينيين يحتفلون بثورة ١٩٠٨ التي قامت بها جمعية الاتحاد والترقي

مايدور حولي في إستانبول ؛ فقد كان عضواً في مجلس المبعوثان (النواب) عن مكة . أتاحت له إقامته الطويلة في إستانبول - منذ كنتُ منفيًّا - فرصة ليعرف الكثير عن الساسة الأتراك واتجاهات زعماء جمعية الاتحاد والترقي ، وبالذات موقفهم منِّي .

وقد شعر عبدالله - في بداية سنة ١٩١٤ - أن التآمر على عرشي قد بلغ ذروته ؛ إذ شكَّ الاتحاديون في سياستي ، وغلب عليهم الظن بأنني سأستقل بمكة ؛ وفيها الكعبة وبقية الأماكن المقدسة عند المسلمين ؛ ممَّا يحرمهم شرف الادعاء بأنهم يمثلون مسلمي العالم ، ويحمون مقدساتهم .

وعندما أبلغني تلك الأنباء ؛ قلقتُ . وكان عبدالله يثق كثيراً بالسياسة البريطانية ، ويميل إليها ، ويرَى أن بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي لها مصلحة في مساعدتنا على الاستقلال عن تركيا . وكان من رأيه ؛ أننا نستطيع أن نعلن استقلال شبه الجزيرة العربية ؛ إذا وعَدَنا البريطانيون بالمساعدة .

توقَّف عبدالله في القاهرة ؛ وهو في طريقه من مكة إلى إستانبول ، وطلب زيارة اللورد كتشنر - المعتمد البريطاني في القاهرة - للتحيَّة . وكانت هذه الزيارة هي الخطوة الأولَى في قصة رسائلي مع مكماهون ؛ تلك الرسائل التي شغلت المؤرخين بعد الحرب . لقد حوَّل البريطانيون - وخاصة هنري مكماهون - المسألة إلى مجرَّد ألفاظ وعبارات ، وأصبح عليَّ - لكي أثبت لهم وللآخرين أنهم وعدوا العرب بالاستقلال - أن أستعين بالقواميس وبمعاجم اللغة لكي أكشف عن معاني الكلمات ؛ مع أن مكماهون كان يكتب لي باللغة العربية ، وكنتُ أكتب له باللغة نفسها .



عبد الله بن الحسين
(١٨٨٢ - ١٩٥١)
مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٤٦ .
تولى إمارة شرقي الأردن عام ١٩٢١ .
اشترك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وأعلن ضم الضفة الغربية عام ١٩٥٠ ؛ بعد اتفاقية الهدنة مع الدولة الصهيونية .
اغتيل في ٣٠ يوليو (تموز) عام ١٩٥١ .

لقد كنتُ واضحاً في أول رسالة أرسلتُها إلى مكماهون ؛ فقلتُ فيها بالنص : « لمَّا كان العرب جميعهم - دون استثناء - قد قرَّروا في الأعوام الأخيرة أن يعيشوا ، وأن يفوزوا بحريتهم المطلقة ، وأن يتسلموا مقاليد الحكم بأنفسهم ؛ فإنه من المناسب أن يتعاون الشعب العربي مع الحكومة البريطانية في تحقيق هذه الأهداف . ولما كان الشعب العربي - جميعه - قد اتفق على بلوغ غايته ؛ فهو يرجو أن تجيبه الحكومة البريطانية سلباً أو إيجاباً في خلال ثلاثين يوماً من وصول هذه الرسالة ، وإذا انقضت هذه المدة ؛ ولم نتَلَقَّ من الحكومة البريطانية ردًّا ؛ فإننا نعتبر أنفسنا أحراراً من كل التصريحات والوعود السابقة » .

وليس لهذه العبارات الواضحة معنًى آخر ؛ غير أننا كنا نريد الاستقلال ، وهذا أمر لا شك فيه . وأي إنسان يملك عقلاً ؛ لا يستطيع أن يتصور أننا ساعدنا البريطانيين على الانتصار في الحرب لكي يستعمرونا ؛ فقد كان لدينا مستعمرون ، ولم نكن في حاجة إلى مزيد منهم ، أو بديل لهم .

وحين أحاول - كل غروب - أن أرَى بمنظاري المكبر حدود الوطن العربي الذي تقاسمه الأوربيون ؛ أعجز عن رؤيتها ؛ فأعود إلى داخل القصر حزيناً مهموماً ، وأعلم أن المؤرخين سيأخذون عليَّ أنني وضعتُ ثقتي في مستعمر ؛ لكي يخلصني من مستعمر ؛ فكانت النتيجة أن ثُرْنا على الأتراك ، لكننا لم نحصل على الاستقلال ؛ بل انتقلنا من التبعية لهم ؛ لنصبح أتباعاً للبريطانيين وللفرنسيين ؛ بل وللصهاينة أيضاً ؛ فيالها من نهاية تعيسة !



احتفال فلسطيني بثورة عام ١٩٠٨ ، يشارك فيه بعض الرسميين المحليين في القدس .

كانت فكرة الثورة ضد الحكم التركي تملأ أرجاء الوطن العربي ؛ طوال السنوات الخمس التي سبقت الحرب . وكان تعصُّب الاتحاديين القومي قد بلغ ذروته ، وعدوانهم على العرب قد بلغ مداه . ولم تكن الثورة فكرة البريطانيين ، لكنني طلبت مساعدتهم لقيامها ، والتحالف معهم لحمايتها ؛ فسلّمتُهم إياها دون أن أدري أو أريد .

وقد تطلبت الثورة إعداداً طويلاً ؛ فقد حرصتُ – أولاً – على التأكد من حجم القُوَى التي يمكن أن تساندنا ؛ وكنت أعرف قوتي في مكة ، وأرسلت ابني الأصغر الأمير فيصل إلى دمشق ؛ فاتصل بجمعية (العربية الفتاة) ، وبجناحها العسكري (العهد) ، واتفق الجميع على مطالب محددة ؛ تضمَّنها (ميثاق دمشق) ، وكانت أساس مراسلاتي مع مكماهون .

وحين بدَا لي أن البريطانيين قد وافقوا على شروطنا ، وأن الأوضاع مُهيَّأة لإعلان ثورتنا ؛ انطلقت شرارة الثورة يوم الاثنين ٥ يونيو (حزيران) ١٩١٦ ، وأعلنت استقلال العرب عن الحكم التركي .

خاضت قواتنا معارك العقبة في شبه الجزيرة العربية ضد الحاميات التركية ، وانطلقت إلى ميناء العقبة ، ثم تغلغلت إلى الشام ، وقطعت خطوط مواصلات الأتراك . ويشهد الحلفاء بما قدمته قوات الثورة العربية من مساعدات عسكرية . لقد تحملنا ويلات الحرب ، وضحَّى شباب أمتنا

بأرواحهم ، ولولا ذلك لما انتصر الجنرال إدموند أللنبي (Edmund Allenby) ، ولما دخل القدس ؛ في ٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٧ ؛ مُنْهِياً الحرب ضد الأتراك .

إنني أعترف – الآن – أن ثقتي بالبريطانيين كانت زائدة على الحد ، وها هي ذي النتيجة ؛ فأنا مُقْعَد الآن ؛ بعيداً عن وطني ، وفي دولة أجنبية . وقد طُرِدْتُ من مكة بواسطة الأصدقاء الذين حاربتُ معهم ، ومن أجلهم ، وبواسطة هؤلاء الذين تعهَّدوا بحمايتي .

وفي الفترة بين ١٩١٦ و ١٩١٨ ؛ وهي فترة اشتراكنا في الحرب إلى جانب القوات البريطانية ؛ وقع حادثان مهمان ، وكانت الفطنة تقتضي أن أدقِّق فيهما ، وأعلنهما إلى الشعب العربي ، وأكشف النقاب عنهما ؛ حتى يتولَّى الشعب العربي بنفسه مواجهتهما . لكنني – يا للأسف – سِرْتُ في الطريق المعاكس تماماً لشعبي ؛ فأخفيتُ الأمرين عنه ، وخفَّفتُ من وقعهما عليه ، وكنت – في قرارة نفسي – أشمُّ المؤامرة التي كانت تُنسَج خيوطها في لندن وباريس وواشنطن ، وأخدعهم وأخدع نفسي أيضاً .

وهذان الحدثان هما :

★ اتفاقية سايكس – بيكو .

★ ووعد بلفور .

في ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٧ ؛ كانت العمليات الحربية بيني وبين الأتراك في قمَّتها ، لذلك دهشت حين وصل إلى العقبة رسول من جمال باشا – حاكم دمشق التركي – يحمل رسالة إلى ابني الأمير فيصل ، وكانت الرسالة تحوي أنباء مذهلة .

قالت الرسالة إن الثورة التي قام بها الشعب الروسي ضد حكومة القيصر ؛ قد أعلنت انسحاب روسيا من الحرب إلى جانب بريطانيا وفرنسا ، وأذاع الثوَّار الوثائق التي وجدوها في وزارة الخارجية القيصرية ، وكان من بينها وثيقة وقَّعها ثلاثة مندوبين ؛ أحدهم يمثل بريطانيا وهو المستر مارك سايكس ، والثاني يمثل فرنسا وهو المسيو جورج بيكو ، والثالث يمثل روسيا القيصرية .

وفوجئتُ حين وجدتُ جمال باشا يقول في رسالته لابني فيصل : « لقد خدَعَتْكم وعود بريطانيا بالاستقلال ؛ فثُرْتُم ضدنا . لكن الوثائق



إدموند أللنبي
(١٨٦١ – ١٩٣٦)

قائد بريطاني .

اشترك في حرب جنوب إفريقية ، وفي الحرب العالمية الأولى .

قاد الحملة البريطانية (١٩١٧ – ١٩١٩) ؛ لغزا فلسطين ، واستولى على القدس ، واحتل سورية بعد موقعة المجدل سنة ١٩١٨ . وبذلك قضى على مقاومة الأتراك ، ومُنح لقب لورد بعد هذه الانتصارات .

عين مندوباً سامياً لبريطانيا في مصر والسودان ، وكانت مهمته القضاء على الثورة الوطنية عام ١٩١٩ .

استقال من منصبه عام ١٩٢٥ .

أللنبي في القدس عام ١٩١٨

التي أذاعها الثوار الروس ؛ تكشف عن أن تلك الوعود محض زور وإفك ؛ لأن النوايا الحقيقية لدَى الحلفاء هي اقتسام الأقطار العربية ووضعها تحت حكم أسياد أجانب . وبمقتضَى اتفاقية سايكس - بيكو ؛ سيأخذ الفرنسيون سوريَة ، وسيأخذ البريطانيون العراق ، وستكون فلسطين تحت إدارة دولية . ولم يَبْقَ من طريق للعرب سوَى أن يعودوا إلى الحظيرة العثمانية ، ويتفاهموا مع الأتراك حول حقوقهم المشروعة » .



أفراد من قوات الثورة العربية الكبرى في العقبة سنة ١٩١٧

وخَتَمَ جمال باشا رسالته بدعوة فيصل أن يحضر بنفسه إلى دمشق ، وله الأمان لافتتاح باب المفاوضات ، وأرفق بها الشروط التي يقبل الترك التفاوض على أساسها . وحين قرأتُها ابتسمتُ بأسًى ؛ فقد تضمَّنت استعداد الترك لمنح الولايات العربية في الإمبراطورية العثمانية حكماً ذاتيًّا كاملاً ؛ تتحقق به جميع أمانيهم القومية ؛ تضمنه الحكومة الألمانية حليفة تركيا وشريكتها في الحرب .

دارت رأسي ؛ وأنا أقرأ رسالة جمال باشا ، وفكرت طويلاً في عرضه :

ها نحن أولاء نعود من حيث بدأنا ؛ دعوة للمشاركة في القتال مقابل



أفراد من قوات الثورة العربية الكبرى في العقبة سنة ١٩١٧



فيصل الأول
(١٨٨٥ - ١٩٣٣)
ابن الشريف حسين بن علي شريف مكة .
انتخب عضواً في مجلس المبعوثان العثماني .
انضم إلى حركة الثورة العربية ضد الحكم العثماني عام ١٩١٦ .
نصبه البريطانيون ملكاً على سورية .
وخلعه الفرنسيون في السنة نفسها .
ولاه البريطانيون ملكاً على العراق (١٩٢١ - ١٩٣٣) .
اتسمت سياسته بالولاء التام للبريطانيين .



الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى مجتمعاً مع الملك فيصل في يافا عام ١٩٢٥

وعد بالاستقلال ؛ تضمنه بريطانيا مرة ويضمنه الألمان مرة أخرَى ؛ فأين نحن من هذا كله ؟ ولماذا لا نضمن استقلال أنفسنا بأنفسنا ؟

أمرتُ الأمير فيصل بأن يرسل إلى جمال باشا ردًّا على رسالته ؛ يرفض فيه طلب الصلح . وجمعتُ كل الأوراق ، وأرسلتُها كلها إلى القاهرة . لكن مكماهون كان قد ترك منصبه للأسف ؛ فتسلمها السير رجنالد ونجت ، وكان عليه أن يقدم لي تفسيراً لما تتضمنه .

لم أصدق أن ذلك يمكن أن يحدث . كنتُ مازلت أثق بشرف بريطانيا العظمَى ووعودها ، ولا أتصور أن قائداً عسكريًّا عظيماً كاللورد كتشنر يمكن أن يكذب أو يخدع ، ولم أكن أتخيل أن كل هؤلاء الوزراء والسفراء والمستشارين البريطانيين يمكن أن يجمعوا على وعد يعرفون أنهم لن ينفّذوه !

وحين أرسلتُ الأوراق إلى القاهرة ؛ كنت واثقاً أنهم سيخدعونني مرة أخرَى ، وسيكذبون عليَّ . لكن الأوان كان قد فات ، وكنت قد تورَّطتُ إلى أذنيَّ ، ولم يَعُد هناك مَفَرٌّ من انتظار ردِّ السير رجنالد ونجت على أسئلتي .

أرسل السير ونجت رسالتي إلى اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية ؛ وهو مشغول إلى أذنيه في وضع اللمسات الأخيرة للوعد الذي



الموكب الجنائزى للملك فيصل في حيفا وهو في طريقه إلى العراق،حيث توفي الملك أثناء زيارته أوربا عام ١٩٣٣



أحمد جمال باشا

قائد عسكري عثماني .
ولد في بافاريا .
تخرج في المدرسة العسكرية ، وعمل في سلك أركان الحرب .
انضم إلى (تركيا الفتاة) عام ١٩٠٨ .
تسلم مناصب مختلفا في الدولة ، وعين والياً على بغداد عام ١٩٠٩ .
عين وزيراً للبحرية ، وقائداً للجيش الرابع في الحرب العالمية الأولى .
عين والياً على (أضنه) ، وقاد المذابح ضد الأرمن فيها .
عمل مع الاتحاديين ، وأدار جهاز التجسس في جمعيتهم .
عين والياً على الشام أثناء الحرب العالمية الأولى ، وارتكب المذابح .
اغتيل على يد الأرمن عام ١٩٥٢ .

قطعه للصهاينة بمنحهم أرض فلسطين ؛ ذلك الوعد الذي دخل التاريخ باسمه .

لم أعُدْ أستطيع أن أفهم شيئاً ؛ فالوعد الذي منحه اللورد بلفور لليهود يخالف - تماماً - اتفاقية سايكس - بيكو ، ويخالف - أيضاً - الوعد الذي منحه مكماهون لي ؛ بل إن مارك سايكس الذي وقع مع بيكو الاتفاقية الأولَى ؛ كان هو نفسه الذي لعب الدور الأكبر في مفاوضات إصدار وعد بلفور .

شعرت أنني نزلت للسباحة في بحر من الحيتان ؛ قبل أن أتعلم العوم .

إن الأمر يبدو لي - الآن - مفهوماً بعض الشيء ؛ فقد كان اللورد كتشنر - صاحب فكرة الاتصال بنا - يدعو لاتخاذ فلسطين درعاً تحمي مركز البريطانيين بمصر ، وحلقة وصل بريَّة تربطها بالشرق . وقبل الحرب العالمية ؛ كان البريطانيون يظنون أن صحراء سيناء درع كافية لحماية قناة السويس . لكن الحرب أثبتت أن الصحارَى لم تعُدْ درعاً لأي بلد ؛ فإن قوة تركية كبيرة اجتازت صحراء سيناء نفسها ، ووصلت إلى ضفة قناة السويس . وفي الوقت نفسه ؛ كان تمسُّك الفرنسيين في مباحثات سايكس - بيكو بأن يأخذوا الشام كله - بما فيه فلسطين - داعياً لقلق بريطانيا .

ولكي يتغلب البريطانيون على إلحاح الفرنسيين ، ويطمئنوا إلى عدم

تهديدهم لقناة السويس ؛ قرروا أن يُنشِئوا دولة حاجزة بين موقعهم في القناة وموقع فرنسا المقبل في سوريَة . وصدر وعد بلفور ؛ فأعطَى اليهود أرض فلسطين ؛ ليبنوا عليها تلك الدولة الحاجزة . وعندما اجتمع الحلفاء بعد الحرب ؛ أصرَّت فرنسا على المطالبة من جديد بفلسطين ، لكن البريطانيين قالوا إنهم منحوا الصهاينة تعهداً بإنشاء وطن قومي لهم فيها ، ولذلك يجب أن توضع تحت الانتداب البريطاني ؛ لكي تنفِّذ بريطانيا وعدها لليهود .

وفي الأسابيع الأولَى من عام ١٩١٨ ؛ استقبلتُ رسولَيْن بريطانيين جاءا يحملان الإجابة عن الأسئلة الحائرة التي وجَّهتُها لحلفائي البريطانيين . وقد تكلم الرسولان باسم رجل واحد هو اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية .

علَّق بلفور على تساؤلاتي بشأن اتفاقية سايكس - بيكو ؛ فنفَى - تماماً - أن هناك اتفاقية بهذا الاسم . وقال في رسالته إن ما وجده الثوار الروس في وزارة الخارجية ؛ كان محاورات ومحادثات مؤقتة بين الدول الثلاث ؛ جَرَتْ قبل اتصال مكماهون بي ، وقبل قيامنا بالثورة .

وكان الرسول الثاني الذي أرسله بلفور هو المستر هوجارث (Hogarth) رئيس المكتب العربي بالقاهرة ، وقد وصل إلى جدة ؛ لكي يحمل لي تفسيرات تتعلق بالتصريح الذي أعلنه بلفور لليهود .

أكد لي هوجارث أن الاستيطان اليهودي في فلسطين ؛ لن يكون مسموحاً به إلا في الحدود التي تتفق مع حرية السكان العرب من الناحيتين الاقتصادية والسياسية . وقال موضِّحاً : « إن التأكيد الذي كلفني اللورد بلفور بإبلاغك إيَّاه هو تفسير لوعد بلفور ؛ فالعرب - الآن - أحرار اقتصاديًّا وسياسيًّا . وحينما تكونون أحراراً ؛ فلن يزعجكم في شيء أن تجيروا اليهود المضطهدين ؛ في الحدود التي لا تتعارض مع حقكم في بلادكم فلسطين » .

وقد طلبتُ من هوجارث إعادة هذه الرسالة على مسامعي عدة مرات ، ودوَّنتُها في حينه ، وقلت له : « ما دامت الغاية من وعد بلفور هي أن يهيئ لليهود ملجأ من الاضطهاد ؛ فإنني سأبذل كل جهدي للمساعدة على تحقيق هذه الغاية ، لكن مسألة التنازل عن مطلب السيادة العربية على فلسطين ؛ لن تكون موضع بحث أبداً » .

وطلب مني هوجارث العمل على إزالة شكوك العرب إزاء هذا الموضوع . وقد أجبتُه إلى طلبه ؛ فأرسلتُ الرسائل إلى أتباعي في البلدان العربية ؛ أطمئنهم بأنني تلقَيتُ تأكيدات من الحكومة البريطانية بأن السيادة على فلسطين سوف تكون من نصيب العرب . وطلبتُ في رسائلي الترحيب باليهود إخواناً لنا بفلسطين ؛ فهم ضيوف علينا ، ومن الواجب إكرام ضيافتهم .

وقد نشرتُ مقالة غُفْلاً من التوقيع ؛ في صحيفة (القِبْلة) في مارس (آذار) ١٩١٨ ؛ بهذا المعنَى . لقد تمرَّد الشباب الفلسطيني الذين كانوا يحاربون إلى جانب الحلفاء - بقيادة ابني فيصل - عندما علموا بأخبار وعد بلفور وباتفاقية سايكس - بيكو ، وطلبوا تفسيراً لما يحدث في الخفاء ، واجتاحت البلاد موجة من الشك والتوجُّس والريبة في الوعود البريطانية لنا .

لم أستطع أن أتحكم في مشاعر أنصاري الذين أحاطوا بالشك تحالفي مع بريطانيا ؛ فاجتمع سبعة منهم في القاهرة دون أن أعلم ، وكتبوا مذكرة للحكومة البريطانية ؛ يطلبون فيها تعريفاً واضحاً شاملاً للسياسة البريطانية المُزمَع تطبيقها على البلاد العربية بعد انتهاء الحرب ، وأشاروا إلى معاهدة سايكس - بيكو ، وإلى وعد بلفور ، وأبرزوا التناقض بينهما وبين وعود مكماهون لي .



الأمير فيصل وحاييم وايزمن في معان بالأردن عام ١٩١٨

أدرك البريطانيون - بعد أن وصلت إليهم رسالة السبعة - أن تحالفهم معنا يمر في مرحلة حرجة . وأسرع الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن إلى العقبة ؛ ليجتمع بابني الأمير فيصل ، وعقد الاجتماع في ٤ يونيو (حزيران) ١٩١٨ ، وحضره عدد من الضباط البريطانيين . وقال وايزمن في بداية الاجتماع : « إن مصلحتنا مشتركة ، وحليفنا واحد هو بريطانيا ، والحرب الآن تدخل في مرحلتها النهائية ؛ وقد جئتُ لكي أطمئنك بأن ما قطعه البريطانيون لوالدك من عهود لا يتناقض في شيء مع الوعد الذي حصلنا عليه من بلفور » .

وأضاف وايزمن بعد قليل : « نحن لا نريد أن نقيم حكومة بريطانية في فلسطين ، لكن هدفنا هو العمل تحت الحماية البريطانية من أجل الاستيطان مع حفظ الحقوق المشروعة لأهل البلاد » .

كان الأمير فيصل حذراً ، ولم يقطع بشيء . وردَّ على وايزمن قائلاً :

« إن فلسطين منطقة عربية ؛ تشكل جزءاً من سوريَة ، ويجب أن تظل ضمن الدولة العربية التي وعدنا الحلفاء بضمان استقلالها . أما قداستها لدى ثلاثة أديان عالمية ، ووجود المعابد المقدسة فيها ؛ فذلك أمر يَعِدُ العرب بالتشاور بشأنه ؛ مع مَنْ يعنيهم أمر الأديان ؛ لتأمين حرية العبادة فيها » .

وختم فيصل حديثه لوايزمن قائلاً : « إننا نرحِّب بالاستيطان اليهودي على أسس إنسانية ؛ بشرط أن يخضع للحدود التي يفرضها احترام صالح السكان أصحاب البلاد وحقوقهم الاقتصادية والسياسية . لكني لاأريد أن أدلي بأي تصريحات في هذا الصدد ؛ حتى لاتستغل في وضع أرض عربية تحت سيطرة غير عربية » .

وهكذا ؛ فشلت المحاولة البريطانية الصهيونية ؛ للحصول على تصريح مشترك بيننا وبين وايزمن ؛ نُقِرُّ فيه بقبولنا وعد بلفور ، ونزيل التناقض بينه وبين وعود مكماهون لي . واضطرت وزارة الخارجية البريطانية لإعلان سياستها تجاه الوطن العربي في بيان علني ؛ حتى تضمن مساعدة قوات الثورة العربية في إنهاء المرحلة الأخيرة من الحرب .

وقد صدر هذا البيان في ١٦ يونيو (حزيران) ١٩١٨ ؛ في صورة رد على مذكرة السبعة . وجاء فيه أن بريطانيا ستعترف باستقلال البلاد العربية التي كانت حرة ومستقلة قبل الحرب ، كما ستعترف باستقلال الأراضي التي حررها العرب بأنفسهم من الأتراك ؛ وهي منطقة تشمل الجزيرة العربية ؛ من عدن حتى العقبة . أما الأقطار العربية التي حُرِّرت من الحكم التركي بمساعدة من الحلفاء – وهي العراق وفلسطين – فقد أكد (تصريح السبعة) أن بريطانيا لن تقيم في تلك البلاد أي نظام من أنظمة الحكم لايقبله السكان .

وحين ذاعت محتويات (تصريح السبعة) ؛ تبدَّدت سحب اليأس والشك والريبة في حلفائنا البريطانيين ؛ فقد جاء تأكيداً لوعود مكماهون لي . وبما أن بريطانيا وعدت بأنها لن تقيم أي نظام حكم في فلسطين أو غيرها ؛ دون موافقة السكان ؛ فمعنَى هذا أن اتفاق سايكس – بيكو لم يَعُدْ قائماً ، ومعناه أن وعد بلفور لن يجعل فلسطين دولة صهيونية . فاندفعت قوات الثورة العربية مع قوات الحلفاء للعمل المشترك من أجل إنجاز المرحلة الأخيرة من الحرب لصالحهم .

وحين انتهت الحرب بالفعل ؛ كنا – نحن العرب – قد تخلصنا من

الاحتلال التركي إلى الأبد : تحررت سوريّة من سيناء إلى طوروس ، وتحرر العراق حتى الموصل ، وتحررت الجزيرة العربية . تمَّ كل هذا بمساعدتنا ، ودفعنا كل النصيب المطلوب منّا في الصفقة التي عقدتُها مع مكماهون . وكان علينا أن نرسل وفداً إلى مؤتمر الصلح ؛ لنحصل على الاستقلال الذي دفعنا ثمنه .

... ...

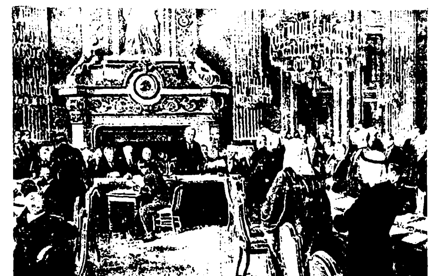
جورج كليمنصو
(١٨٤١ - ١٩٢٩)

سياسي ، ورئيس وزراء فرنسي .
بدأ حياته صحفيًّا ، ثم أصبح عضواً بمجلس النواب في ١٨٧٦ . وانتقل إلى مجلس الشيوخ منذ عام ١٩٠٢ . وعاد إلى الصحافة بين عامي ١٨٩٣ - ١٩٠٣ .
تولى رئاسة الوزارة الفرنسية بين عامي ١٩٠٦ و١٩٠٩ . وعاد إليها عام ١٩١٧ .
ترأس مؤتمر الصلح في فرساي عام ١٩١٩ .
عاد إلى الصحافة - مرة أخرى - منذ عام ١٩٢٠ حتى وفاته .

في ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٨ ؛ وصل ابني فيصل إلى مارسيليا - في طريقه إلى باريس - ليحضر مؤتمر الصلح ؛ فقابله المسئولون الفرنسيون ببرود ، ورفضوا التعامل معه باعتباره رئيساً لوفد رسمي . ولم يكن الأمر في حاجة إلى ذكاء شديد ؛ لكي يدرك فيصل أن الفرنسيين غاضبون لتحالفنا مع بريطانيا ؛ لأنهم يعتبرون الشام من حقهم .

وسافر فيصل إلى لندن ، وهناك اكتشف كل شيء ، وعرف أن معاهدة سايكس - بيكو ليست افتراء من الثوار الروس ؛ كما زعم لي اللورد بلفور . وتابع عن قرب فصول الصراع بين رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج ورئيس وزراء فرنسا كليمنصو (Georges Clemenceau) حول المعاهدة نفسها ؛ فقد أصرَّ البريطانيون على أنها لم تَعُد قائمة بعد أن انسحب الطرف الثالث الذي وقَّع عليها ؛ وهو الروس .

وكان موضوع الخلاف هو وضع فلسطين تحت الوصاية الدولية ؛ وهو أمر رفضه لويد جورج ؛ لأنه يعطي الفرنسيين فرصة للتدخل في



مؤتمر الصلح في فرساي عام ١٩١٩ . وفي الصورة يظهر الأمير فيصل واقفاً .

شؤونها ، وبالتالي يخلق خطراً ما على قناة السويس .

وتقدم اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية خطوة أخرَى لتحقيق وعده ؛ فضغط على فيصل ليحصل منه على اعتراف بوعد بلفور ؛ حتى تتعلل بريطانيا بأنها اتفقت مع العرب واليهود على وضع خاص بفلسطين ؛ فتلغي بذلك اتفاقية سايكس - بيكو ، وتتخلص من فكرة وضع فلسطين تحت الوصاية الدولية .

ومن سوء الحظ ؛ أن فيصل كان وحيداً في لندن . ولم يَجِدْ له حليفاً سوَى بريطانيا ، وخشي أن يتشدد في هذا الموضوع الصغير ؛ فيتخلَّى عنَّا البريطانيون ، ويتركوا الشام كله لفرنسا .

وفي بداية يناير (كانون الثاني) ١٩١٩ ؛ قابل فيصل الزعيم الصهيوني وايزمن للمرة الثانية ، ووقَّع الاثنان اتفاقية ؛ تعهَّد فيها الأمير فيصل بأن يكون هناك دستور لفلسطين يوفر كافة الضمانات لتنفيذ وعد بلفور . ولكن فيصل أضاف - إلى النص الأخير للاتفاقية - عبارات ؛ قال فيها إن تنفيذ ذلك كله مرهون بحصول العرب على استقلالهم ضمن الحدود التي سبق لهم أن طالبوا بها ، وأنه إذا حدث أدنى تعديل في المطالب العربية ؛ فإننا سنكون في حِلٍّ من الاتفاقية الجديدة .

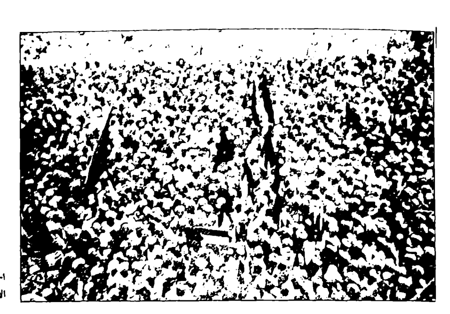
وبعد قليل ؛ أدرك فيصل أن ما فعله لا يلقَى تأييداً من أحد ، ولمس بنفسه أن الصهاينة كسبوا من الاتفاقية ؛ في حين لم نكسب نحن شيئاً . واندلعت المظاهرات في فلسطين ضد الاتفاقية ، وتجاهل المؤتمر السوري الذي اجتمع بدمشق في يوليو (تموز) ١٩١٩ اتفاقية فيصل - وايزمن تماماً ، وأعلن رفضه التام لإنشاء دولة يهودية في فلسطين .

وبعد بضعة شهور ؛ نشر فيصل مقالاً في صحيفة بريطانية ؛ قال فيه : « إن العرب يرَوْن في فلسطين ولاية عربية ؛ وليست قطراً قائماً بذاته ، ونحن نسعَى لإنشاء دولة عربية تتألف - على الأقل - من العراق والشام ؛ بما فيها فلسطين » .

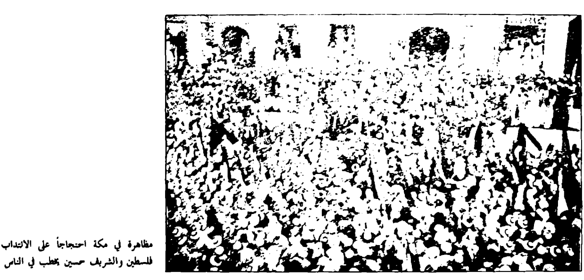
لكن ذلك كله حدث بعد فوات الأوان . وجد فيصل نفسه وحيداً ، ولم يجد له حليفاً سوَى هؤلاء الذين كانوا - منذ البداية - يلعبون بنا ، ويتآمرون على اقتسام أرضنا .

وانتهَى مؤتمر الصلح بتنفيذ معاهدة سايكس - بيكو ، والاعتراف

• حدود الوطن القومي اليهودي التي قدمتها المنظمة الصهيونية الى مؤتمر الصلح •



الحجاج المسلمون وأهل مكة يتظاهرون ضد الانتداب البريطاني على فلسطين



مظاهرة في مكة احتجاجاً على الانتداب في فلسطين والشريف حسين يخطب في الناس



المظاهرة الكبرى في القدس في يونيو (حزيران) عام ١٩٢٨ . اشترك فيها آلاف من المسلمين والمسيحيين مطالبين بالاستقلال التام ، وضم فلسطين إلى سورية ، وإيقاف الهجرة الصهيونية .

بوعد بلفور . أما وعود مكماهون لي ؛ فقد تاهت في زحام الوعود ، ولم نحصل على الدولة المستقلة التي نحلم بها ، ولم تنفّذ بريطانيا وعدها لي بدعم عرشي والحفاظ عليه . وحين نافسني عليه آخرون ؛ أجبرني البريطانيون على التخلي عنه ، ونفَوْني إلى عمان . ثم أخرجوني على طراد بريطاني إلى هنا ؛ حيث أعيش ؛ أخرج كل يوم على مقعدي المتحرك ؛ أتأمل الشمس وهي تغيب في زرقة البحر ، وأحاول أن أرَى بمنظاري المكبر حدود الوطن العربي الذي ضاع .

وحين تغرق الشمس في مياه البحر ؛ أدفع بمقعدي المتحرك ، وأعود إلى وحدتي .

قصة الفيلسوف بلفور الدموي !

دخل آرثر جيمس بلفور التاريخ ؛ وعلى رأسه الوعد الشهير . ولولا هذا الوعد ، فربما ظل بلفور مجرد وزير من آلاف الوزراء البريطانيين الذين عاشوا وماتوا دون أن يذكرهم أحد .

وقد ولد بلفور عام ١٨٤٨ ، ومات عام ١٩٣٠ بعد أن شهد بعيني رأسه نتائج الشر الذي بذره ؛ فقد كان على فراش المرض ، وأحداث (ثورة البراق) تشغل صحافة الدنيا كلها .

ويعتبر المؤرخون بلفور واحداً من الشخصيات التاريخية التي تستحق الاهتمام . فقد ولد لأسرة بريطانية عريقة وواسعة الثراء . وكان يعد نفسه للاشتغال بالفلسفة ، لكن خاله اللورد سالزبوري دفعه للاشتغال بالسياسة ؛ فانضم لحزب المحافظين ، وأصبح نائباً عنه في مجلس العموم ؛ وهو في الثامنة والعشرين من عمره . وبعد أربع سنوات ، اختاره خاله ليكون سكرتيراً له ، عندما عُيِّن وزيراً للخارجية .



المؤتمر الإسلامي الكبير الذي عقد بالقدس في أول نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٢٨ لمناقشة أحداث ثورة البراق بمناسبة ذكرى وعد بلفور
المؤتمر الإسلامي الكبير الذي عقد بالقدس في أول نوفمبر (تشرين



طابع بريد إسرائيلي يحمل صورة بلفور ، بمناسبة الذكرى الخمسين للوعد المشئوم



بلفور ووايزمن في حفل افتتاح الجامعة العبرية في القدس عام ١٩٢٥

وعلى امتداد نصف قرن من ذلك التاريخ ؛ ظل بلفور واحداً من ألمع قادة المحافظين ، ولم تعد المسائل الفلسفية تشغله . وحين خسر المحافظون المعركة الانتخابية عام ١٨٨٠ أمام حزب الأحرار ؛ تحمّل بلفور وثلاثة نواب آخرين عبء المعارضة في مجلس العموم .

وكان طبيعيًّا أن يلمع نجمه ؛ عندما عاد المحافظون للسلطة . وتولى خاله رئاسة الوزارة عام ١٨٨٥ ؛ فأصبح الفيلسوف الذي هجر الفلسفة وزيراً لشؤون أسكتلندا ؛ فأثبت أن مواهبه الاستعمارية لا مثيل لها ، وقمع الثورة الأيرلندية بشدة وعنف حتى لقبه الأيرلنديون (بلفور الدموي) .

وفي عام ١٩٠٢ ؛ خلف بلفور اللورد سالزبوري خاله في رئاسة الوزراء ، ولم يستمر في منصبه سوى ثلاث سنوات ؛ إذ فشل الفيلسوف السابق في مواجهة تدهور أحوال العمال الإنجليز المعيشية ، ولم يستطع مواجهة إضراباتهم ؛ فاستقال من منصبه ، وخسر حزبه الانتخابات ، وخسر هو نفسه مقعده البرلماني .

وكان العمل الكبير الوحيد الذي قام به بلفور – منذ فشله ذاك – هو الوعد الذي منحه للصهاينة ؛ فقد اختفى من الحياة السياسية بين عامي ١٩٠٥ و ١٩١٥ . وعندما عاد للوزارة ؛ لم يترك أثراً إلا هذا الوعد .

بدأ بلفور حياته معادياً لليهود ؛ فقد كان شديد التعصب لمسيحيته . وعندما كان رئيساً للوزراء أصدر قانون الأجانب الذي كان الهدف منه الحد من هجرة اليهود إلى بريطانيا .

وفي الستين من عمره ؛ عدل عن موقفه وأصبح شديد الحماس للحركة الصهيونية ؛ حتى إنه كان يرفض الاستماع لأي هجوم أو نقد لأصدقائه الصهاينة ، وقد صرح فيما بعد أن الوعد هو أهم إنجازاته السياسية .

وقال بلفور أمام مجلس النبلاء (اللوردات) البريطاني : « لقد ملت إلى الجانب الصهيوني بدوافع إنسانية فقد شتت اليهود في كل مكان في العالم » .

لكن الفيلسوف التائه عاد وغيّر رأيه مرة ثالثة ، وعبّر لكثيرين عن ندمه على ما فعل ، وعاد يهاجم اليهود ، ويقول

إنهم يفتقرون إلى الكرامة واحترام النفس ، وإنهم يميلون إلى استخدام مواهبهم لتحقيق أهدافهم الشريرة .

ولأن الصهاينة قوم عمليون ؛ فقد أهملوا كل تاريخ بلفور ، وتغاضوا عن مواقفه المتقلبة معهم ، وخرقوا التقليد الذي وضعوه بألا يطلقوا على مستوطناتهم في فلسطين إلا أسماء عبرية ؛ فأنشأوا مستوطنة سموها (بلفوريا) نسبة إلى صاحب الوعد ..

وقد رأى بلفور فلسطين مرة واحدة في حياته ؛ حين دعاه صديقه وايزمن لافتتاح مبنى الجامعة العبرية عام ١٩٢٥ ؛ ليكرمه وليضفي على المناسبة طابع العلمية على أساس أن بلفور فيلسوف سابق .

وفي منتصف مارس (آذار) ١٩٢٥ ؛ وصل بلفور ووايزمن إلى القاهرة ، واصطحبا معهما الجنرال أللنبي الذي كان مندوباً سامياً لبريطانيا في مصر . ووصل الثلاثة إلى القدس ؛ فاستقبلهم الفلسطينيون بالمظاهرات الصاخبة في القدس ويافا وحيفا .

وبعد أن انتهى حفل الافتتاح ؛ خرج بلفور من فلسطين بالقطار إلى سوريّة ، لكنه لم يستطع دخول دمشق . كانت المدينة قد أصبحت كتلة من الشعور الخانق ، واضطرت سلطات الانتداب لتهريب الوزير الفيلسوف - الذي بلغ السابعة والسبعين - قبل أن يفتك به المتظاهرون .

ومات بلفور ؛ وهو في الثانية والثمانين ؛ تاركاً وعداً ومستوطنة ؛ يرويان لكل الناس قصة بلفور الدموي الذي تقنع بالفلسفة ليقتل ويذبح ويسرق أوطان الآخرين !

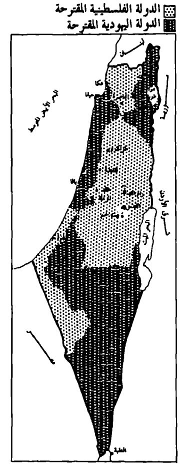


مظاهرات في القدس عام ١٩٢٨

وبعد..

في العام السبعين ــ قبل ميلاد الانتفاضة ــ من التقويم الفلسطيني ، صدر وعد بلفور ؛ فكان بمثابة الإعلان الدولي لقيام الدولة الصهيونية بقرار من الدول الاستعمارية التي خرجت منتصرة بعد الحرب العالمية الأولى .

سبعون عاماً مرَّت بالتمام حتى ميلاد الانتفاضة الفلسطينية المباركة . والانتفاضة لم تأت من فراغ ؛ فالسنوات السبعون قبلها شهدت ثورة مستمرة من الشعب الفلسطيني ، ولم يمر عام بدون أن يسجل علامة بارزة على طريق الجهاد .



• خريطة تقسيم فلسطين وفق توصية الهيئة العامة للأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٤٧ •

سبعون عاماً مضت منذ صدور وعد بلفور ، شهد فيها العالم حربا عالمية ثانية ؛ غيَّرت وجه الكرة الأرضية والتقسيمات السياسية التي كانت قائمة قبلها .. تراجعت الإمبراطورية البريطانية العظمَى إلى دولة من الدرجة الثانية ، وانسحبت قوات الاحتلال من عشرات الدول ، وظهر نظام دولي جديد يجمع التكتلات والمعسكرات ، وتدور في نطاقه الحرب الباردة بأشكالها . وتنقّلت حروب التحرُّر الوطني من بلد إلى بلد ، ومن قارة إلى قارة ، لكنها استمرت طوال الوقت في فلسطين وحولها .

رفض الشعب الفلسطيني وعد بلفور منذ إعلانه ، واستمر يرفضه حتى الآن .. وتوالت الثورات والانتفاضات والهَبّات ضد قوات الاحتلال البريطاني ، وضد الغزوة الصهيونية . وشهد الشهر نفسه ــ في عام ١٩٣٥ ــ انطلاق الثورة الفلسطينية الكبرى ، عندما انطلق الشيخ المجاهد « عز الدين القسام » إلى أحراش منطقة جنين ، وبدأ الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال البريطاني ، واستشهد في المعركة الأولى ، ولكن استشهاده فجّر الثورة الكبرى . وسجل التاريخ أن الشعب الفلسطيني يرفض وعد الإنجليز ، ويقاوم مشاريع اغتصاب الوطن .

وعندما أعلن الصهاينة ــ بعد ثلاثين عاماً من صدور الوعد ــ إقامة دولة إسرائيل ، اندلعت حرب فلسطينية ــ إسرائيلية أولى ، سبقت دخول الجيوش العربية إلى فلسطين ، ثم تتالت الحروب العربية ــ الإسرائيلية التي

أسهم فيها الشعب الفلسطيني بكل قواه . وعندما كانت تتوقف ، يستمر أبناء فلسطين في حمل بندقية الحرب ورايتها .

ومنذ مطلع عام ١٩٦٥ ؛ بدأ الشعب الفلسطيني حربه الخاصة ضد الاحتلال الصهيوني . لم يكن ذلك عن يأس من تحرك الجيوش النظامية ؛ بل عن ثقة بأن الأمة العربية لابد وأن تلحق بهذا الطريق ؛ إن آجلاً أو عاجلاً .

وصحَّ هذا التوقُّع ، وجَرَت حرب عام ١٩٦٧ ، وحرب الاستنزاف عام ١٩٦٩ وعام ١٩٧٠ ، ثم حرب أكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣ ، وطوال هذه الفترة كانت قوات الفدائيين الفلسطينيين تشنُّ حربها الظافرة ضد مواقع العدو الصهيوني وأهدافه ، وتُبْقِي طريق الثورة الشعبية مستمرًّا .



١٩١٧

وعندما نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في أن تفرض الصمت على الجبهات الرسمية العربية ؛ بل وتفتح بعض الحدود مع العدو الصهيوني ؛ حمل الشعب العربي الفلسطيني عبء الحرب ضد الغزوة الصهيونية دون توقف أو كلل ، ومايزال .



١٩١٧

ولقد حققت الحرب الفلسطينية ضد وعد بلفور ومترتباته كلها إنجازات عديدة عبرالسنوات الماضية ؛ وبشكل خاص في الربع الأخير من هذا القرن .

١٩٢٧

ذلك أن وعد بلفور الذي أعلن مشروع إقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين في الوطن العربي ؛ لكي تحقق أهداف الاستعمار وتحافظ على مصالحه في المنطقة ؛ كان له وجه آخر ؛ هو نفي وجود الشعب الفلسطيني وإنكار هويَّته الوطنية ؛ حتى لاينازع الصهاينة أحد في الأرض وما عليها . فلمَّا انطلقت الثورة الفلسطينية بعد جولة من الحروب العربية الإسرائيلية ؛ كان انطلاقها إعلاناً عمليًّا برفض المخطط الاستعماري كله ، وحققت باستمرارها استعادة الهوية الوطنية الفلسطينية ؛ بعد أن كانت مخططات المستعمرين تقضي بتشتيت الشعب وذوبانه خارج الوطن .



١٩٣٦

وفي سياق هذا الإنجاز العظيم ؛ أي استعادة الهوية الوطنية الفلسطينية وتأكيدها ؛ أمكن للثورة الفلسطينية أن تقلب مسار الكيان الصهيوني والمخطط الاستعماري ؛ بحيث تبادل الشعب الفلسطيني وأعداؤه مواقع الدفاع والهجوم ، والتراجع والتقدم ، والمبادرة ورد الفعل . وأمسك الشعب الفلسطيني بمقدَّرات مصيره ، وألزمت عملياته الثورية العدو ومَن يسانده باتخاذ مواقف الدفاع والتراجع والتخلي عن مخططاته الأولَى ؛ بحيث



١٩٣٦

أصبح جلُّ همِّهم – الآن – هو المحافظة على وجود ذلك الكيان الدخيل وضمان استمراره . وعَلَتْ أصوات المتسائلين – حتى من بين الصهاينة – عن احتمالات زواله كليَّة ، أو على الأقل زوال هويته الصهيونية التوسعية العنصرية .


١٩٤٧

ويأتي يوم ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) من كل عام – وهو ذكرَى وعد بلفور – ليكشف مقدار التغيُّر في موازين القوَى ، ويسجل مقدار التقدم على طريق الثورة والتحرير . فلقد حوَّل الشعب الفلسطيني هذا اليوم ؛ من ذكرَى وعد باطل ومشئوم ؛ إلى مناسبة للحشد والمواجهة ضد الخصوم . ولقد مات بلفور ، ووايزمن ، والشريف حسين ، ومكماهون ، ومونتاجو ، ومعظم الذين عاصروا صدور هذا الوعد الباطل ، لكن إصرار الشعب الفلسطيني على التمسك بأرضه وهويته ، وعلى تعريف الأجيال الجديدة بتاريخ الوطن وبحقيقة أعدائه ؛ جعل من يوم ذكرَى وعد بلفور مناسبة للصدام المتجدد مع المعتدين الغزاة ، وللتعريف المستمر بحقيقة المؤامرة الدولية التي تستهدف فلسطين والعرب ، وبواقع أن الصهاينة الغزاة ليسوا سوَى مرتزقة للاستعمار يستعملهم لأغراضه ، وأنه لولا مساندة الدول الاستعمارية ؛ لما أمكن للكيان الاستيطاني العنصري الصهيوني أن يعيش .


١٩٤٨

وعلى الرغم من المآسي التي ترتَّبت على هذا الوعد المشئوم ؛ فإن الشعب الفلسطيني لايحتفل به – أبداً – بالندب أو التباكي ، وإنما بتصعيد المواجهة مع الغزاة والمستعمرين .


١٩٤٨

وقد ترسَّخ ذلك وتأكد ؛ حتى إن الاستعدادات لهذا اليوم تتمُّ على جانبي المواجهة دائماً .. قُوَى الشعب الفلسطيني تُعِدُّ عُدَّتها لتصعيد الصدام مع المعتدين ، والمعتدون الصهاينة يُعِدُّون قواتهم ، ويعلنون الاستنفار ، ويحشدون القوات ، ويفرضون إجراءات حظر التنقل والتجول ؛ تحسُّباً لما يمكن أن يحمله لهم هذا اليوم .

وفي كل عام ؛ تتكرر المواجهة ، ويتعلم جيل جديد من الفلسطينيين درساً من التاريخ .

* * *


اكتوبر ١٩٧٣

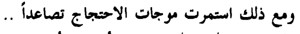
وبعد سبعين عاماً ؛ كان يوم وعد بلفور على موعد مع حدث عظيم .

كانت سحب الانتفاضة الفلسطينية الشعبية الباسلة في فلسطين المحتلة تتجمع وتتدافع ؛ أسبوعاً بعد أسبوع . وشهد صيف عام ١٩٨٧ تصاعداً كبيراً في الإضرابات ، والمظاهرات ، والعمليات العسكرية ضد قوات

الاحتلال الإسرائيلية .


١٩٨٧

وقررت قيادة الجيش الإسرائيلي استعمال ماأسمته سياسة القبضة الحديدية في مواجهة الجماهير الثائرة ، وأصدرت عشرات القرارات بتعطيل الدراسة في المعاهد والجامعات والمدارس ، وأقامت أسواراً من الأسلاك الشائكة حول مخيمات اللاجئين ، وقررت اللجوء إلى خطة شارون التي اتَّبعها في قطاع غزة من قبل ؛ بشقِّ شوارع عريضة في قلب المخيمات ؛ بحيث يسهل على الدبابات والعربات المدرعة السير فيها والسيطرة عليها .


ومع ذلك استمرت موجات الاحتجاج تصاعداً ..


١٩٨٧

وفي يوم ٢٦ / ١٠ / ١٩٨٧ ؛ أي قبل أسبوع واحد من ذكرَى وعد بلفور ، وبمناسبة ذكرَى مذبحة كفر قاسم ؛ استعمل الجيش الإسرائيلي بنادق قناصة من نوع خاص ؛ بهدف اصطياد قادة المظاهرات من بعيد وقتلهم ؛ على وهم إرباك المتظاهرين وتفريقهم .

واستشهد الطالب إسحق أبو سرور من جامعة بيت لحم ، ولم يُؤدِّ ذلك إلى توقُّف المظاهرات ؛ بل أدَّى إلى اتساعها . والتحقت المخيمات بالجامعات في التظاهر والإضراب ، ولم تتورَّع القوات الإسرائيلية عن إطلاق النار ؛ فتزايد عدد الشهداء ، واتسع نطاق المظاهرات .


١٩٨٨

وفي الوقت نفسه ؛ كانت مجموعات الفدائيين العاملة في الأرض المحتلة تشدِّد من ضرباتها . وسجلت التقارير قيام الفدائيين الفلسطينيين بعمليات عسكرية أيام ٢٨ / ١٠ ، و ٣٠ / ١٠ ، و ٢ / ١١ / و ٣ / ١١ ؛ وكلها هجمات بالقنابل الحارقة على سيارات عسكرية للعدو ؛ كانت متوجِّهة لحصار المتظاهرين والاعتداء عليهم .

وقدَّرت سلطات العدو الصهيوني أن هذا التصاعد الكبير هو لاجتماع مناسبتين وطنيتين ؛ هما مناسبة مذبحة كفر قاسم ومناسبة ذكرَى وعد بلفور ، وما صاحبها من مناسبات طوال سنوات الجهاد ، وتصور الصهاينة أن هذا التصاعد سيخمد بعد مرور هذه المناسبات ، وأن الهدوء سيعود من جديد .



وكانت المفاجأة أن التصاعد استمرَّ ، واتسع نطاق المظاهرات ، والاحتجاجات ، والعمليات العسكرية . وبعد شهر واحد ؛ شملت الانتفاضة كل أراضي فلسطين المحتلة ، ودخلت الثورة الفلسطينية ضد الاحتلال الصهيوني مرحلة جديدة ، أطلق عليها محلِّلون صهاينة اسم الحرب العربية الإسرائيلية السابعة ، واعتبرها بعضهم أخطر على الكيان الصهيوني من حرب أكتوبر المجيدة .

وماتزال الانتفاضة مستمرة .


١٩٨٩

بالانتفاضة انتقلت فلسطين من كرسي الشهادة إلى مقعد الادعاء .

سنوات الثورة السابقة كلها تشهد بأن الشعب الفلسطيني متمسك بأرضه ؛ رافض لكل محاولات المستعمرين إرغامه على التخلي عنها ، صبور ، عنيد ، مكافح ، لا ينسَى أبداً .

وعندما كان الشعب الفلسطيني يحتفل كل عام بذكرَى وعد بلفور ؛ كان يجدِّد إعلانه رفض هذا الوعد ، ومخططاته ومترتباته ، ويؤكد باستمرار المسئولية الدولية عن الجريمة التي دُبِّرت في دهاليز وزارة المستعمرات والحرب البريطانية ، ونفَّذتها جيوش الاحتلال وعصابات الصهاينة ، ثم أخذت ترعاها وتحميها وتقوِّيها الولايات المتحدة الأمريكية .


١٩٨٩

ولم تكد الذكرى السبعون لوعد بلفور تمر ، وقبل أن تختتم الانتفاضة الفلسطينية الباسلة عامها الأول ؛ حتى كان الشعب الفلسطيني يعلن — على لسان الرئيس ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية — قيام دولة فلسطين المستقلة وعاصمتها القدس ، وذلك بعد أن أجمع المجلس الوطني الفلسطيني — في دورته التاسعة عشرة — على ذلك في مدينة الجزائر العربية فجر يوم ١٥ تشرين ثان ١٩٨٨ ، واحتفل الشعب الفلسطيني — داخل الأرض الفلسطينية المحتلة وفي كل أماكن تواجده وتشتته — بهذا الإعلان الكبير الذي جاء في الشهر نفسه الذي صدر فيه وعد بلفور منذ واحد وسبعين عاماً ؛ ليكون وعداً فلسطينياً حقاً ، يلغي الوعد الاستعماري وينهي آثاره ، ويبشر بفجر الانتصار .


١٩٩٠

وهكذا ، أصبح الشعب الفلسطيني — بانتفاضته البطولية — شاهداً ومدعياً بالحق التاريخي على المجتمع الدولي كله . وتناثرت صفحات الاتهام تفضح ، وتدين المؤامرة الدولية على ذلك الشعب الصغير ؛ والأمة العربية من ورائه .


١٩٩٠

وتحولت الشهادة الفلسطينية إلى قرار اتهام يفضح الاتفاق الجنائي على الأمة العربية ، ويكشف دور كل من ساهم في الجريمة ؛ المخطِّط ، والمنفِّذ ، والحامي ، والمتستِّر ، وحتى المخدوعين والصامتين .

بعد انتشار الانتفاضة على كل الأرض والزمان ؛ لم يَعُد للمتفرجين مبرر ولا للخائفين حجَّة ؛ فالمجرمون انكشفوا ، وانتصب الضحايا واقفين . والحكم قد صدر ، وأداة التنفيذ حجر ..

والموعد ذات صباح على أرض فلسطين .

تواريخ في حياة وعد بلفور

١٨٨٢ في مايو أصدرت الحكومة الروسية القيصرية قوانين تحظر على أي يهودي أن يعيش أو يمتلك أي عقار إلا في مناطق حددها القانون .
تأسست في السنة نفسها جمعية (عشاق صهيون) لتنظيم الهجرة إلى فلسطين بتمويل من المليونير روتشيلد .
وأصدر السلطان عبدالحميد الثاني قرارا بتحريم الهجرة .

١٨٩٦ أصدر تيودور هرتزل كراسة (الدولة اليهودية) ، ورأس في العام التالي أول مؤتمر صهيوني ؛ انتهى بتأسيس المنظمة الصهيونية العالمية .

١٩٠٣ عرضت حكومة بلفور على المنظمة الصهيونية أرضاً في مستعمراتها شرقي إفريقية لإنشاء دولة عليها ؛ فرفض جناح منها بزعامة وايزمن المشروع ، وأصر على المطالبة بفلسطين . وأصدر بلفور قوانين تحد من هجرة اليهود إلى بريطانيا .

١٩٠٦ قابل وايزمن بلفور للمرة الأولى ولم تسفر المقابلة عن شيء .

١٩١٤ دخلت تركيا الحرب في جانب أعداء بريطانيا ، وبدأت تثير الشعوب العربية الخاضعة لها ضد الحلفاء .

١٩١٥ بدأ هنري مكماهون مراسلاته مع أمير مكة الشريف حسين ، ووعده أن تعترف بريطانيا بدولة عربية مستقلة ؛ تشمل الجزيرة العربية والعراق والشام بما في ذلك فلسطين ؛ إذا ساعد العرب الحلفاء بالحرب ضد الأتراك .

١٩١٦ اجتمع سايكس وبيكو مندوبين عن وزارتي الخارجية الفرنسية والبريطانية ، واتفقا على أن يكون العراق بعد الحرب من نصيب بريطانيا ، وأن تأخذ فرنسا سوريّة ولبنان . أما فلسطين ؛ فتخضع لإدارة دولية .

١٩١٧ أصدرت الحكومة البريطانية وعد بلفور بناء على طلب المنظمة الصهيونية ؛ فأعلنت تأيدها لإقامة (وطن قومي) لليهود في فلسطين .
قامت الثورة في روسيا وانسحبت من الحرب ، وأذاعت نصوص اتفاقية سايكس - بيكو .

١٩١٨ قدم بلفور وغيره من المسئولين البريطانيين ردوداً غامضة للشريف حسين عن وعد

بلفور . وزعموا أن اتفاقية سايكس - بيكو لم توقع ، وأكدوا وعودهم له بالدولة العربية المستقلة .

١٩١٩ انتهت الحرب بانتصار الحلفاء ، وانعقد مؤتمر الصلح في باريس بعد هزيمة تركيا ، وأيد الفرنسيون والأمريكيون وعد بلفور .

١٩٢٠ اجتمع المجلس الأعلى للحلفاء في (سان ريمو) ، وقرر أن تتولى بريطانيا الوصاية على العراق وفلسطين ، وأن تتولى فرنسا الوصاية على سوريّة ولبنان .

١٩٢٢ أنشئت الوكالة اليهودية في القدس ، وشجعتها سلطات الانتداب على الاستيلاء على الأرض الفلسطينية ، وإنشاء المستوطنات ، وتهريب المهاجرين وتدريبهم على السلاح ، وأشركتهم في إدارة البلاد تمهيداً للاستيلاء على الحكم في فلسطين .

١٩٢٩ قاوم الشعب الفلسطيني محاولات الصهاينة للاستيلاء على الآثار الإسلامية في القدس ، وقامت ثورة البراق .

١٩٣٣ استولى الحزب النازي بقيادة (هتلر) على الحكم في ألمانيا ، واضطهد اليهود ؛ مما رفع عدد المهاجرين منهم إلى فلسطين .

١٩٣٦ ثار الشعب الفلسطيني على سياسة حكومة الانتداب ، وطلب تحديد الهجرة اليهودية ، وتمكين المواطنين العرب من المشاركة في الحكم ، وشملت الثورة جميع أنحاء فلسطين .

١٩٣٩ أصدرت الحكومة البريطانية كتاباً أبيض تحدد فيه الهجرة ، وتعلن إنهاء الانتداب بعد عشر سنوات ؛ فشن المستوطنون الصهاينة الحرب ضد بريطانيا ، وبدأت المنظمة الصهيونية العالمية تتحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية .

١٩٤٧ صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود ؛ بعد ضغط أمريكي على الدول الأعضاء لصالح الصهيونية .

١٩٤٨ أعلنت بريطانيا إنهاء الانتداب على فلسطين بعد أن أدت مهمتها بتحقيق وعد بلفور ، وأعلن الصهاينة قيام دولتهم .

١٩٦٥ بدأت الثورة الفلسطينية المسلحة لتحرير الأرض العربية الفلسطينية المحتلة ، وإنشاء دولة ديمقراطية يعيش بها المسلمون والمسيحيون واليهود .

١٩٨٧ بدأت الانتفاضة الفلسطينية المجيدة ولا زالت مستمرة حتى النصر

كتب عن (وعد بلفور)

يقظة العرب

The Arab Awakening

المؤلف : جورج أنطونيوس .
ترجمة : د . ناصر الدين الأسد ، إحسان عباس .
٦٥٣ صفحة
الناشر : مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٦ .

جورج أنطونيوس: كاتب وسياسي عربي فلسطيني (١٨٩٢ – ١٩٤٢) عمل في قسم التربية في الإدارة الفلسطينية (١٩٢١ – ١٩٣٠) ، وشارك في مؤتمر الطاولة المستديرة في لندن عام ١٩٣٩ ؛ بصفة مستشار للوفود العربية ، وكان من دعاة القومية العربية . أصدر هذا الكتاب باللغة الإنجليزية في عام ١٩٣٩ . ويعتبر مرجعاً أساسيًّا في تاريخ القومية العربية وتطورها ؛ منذ الفتح العثماني حتى عام ١٩٣٦ . وكان المؤلف صديقاً لمعظم قادة الحركة القومية العربية ، وعلى صلة وثيقة بالشريف حسين؛ فحصل منه على كل المعلومات والوثائق التي تتعلق بمراسلات (الحسين – مكماهون) ، وظروف إصدار وعد بلفور وتوقيع اتفاقية (سايكس – بيكو) .

أرض العسل

المؤلف : رشاد أبو شاور .
٧١ صفحة .
الناشر : دار الحقائق ، بيروت ، ١٩٧٩ .

رواية تسجيلية كتبها القصاص الفلسطيني رشاد أبو شاور ، واعتمد في كتابتها على عدد كبير من الوثائق ، وكتبها بأسلوب شائق للفتيان . وأرض العسل هي فلسطين التي يقول الصهاينة إنّ الله وعدهم بها .

تصريح بلفور

المؤلف : د. محمود حسن صالح منسي .
٣٤٣ صفحة .
الناشر: دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

مؤلف هذا الكتاب مدرس التاريخ الحديث بجامعة الأزهر . والكتاب جزء من رسالته للحصول على درجة علمية . وقد استعرض فيه تاريخ الحركة الصهيونية حتى إصدار التصريح والظروف الدولية والعربية التي دعت لإصداره . ويرى المؤلف أن تصريح بلفور هو البداية الحقيقية لقضية فلسطين .

التجربة والخطأ

(Trial And Error)

اسم المؤلف : حاييم وايزمن .
الناشر : هماميش هاميلتون ، لندن ، ١٩٥٢ .

يتضمن هذا الكتاب مذكرات حاييم وايزمن ؛ أحد القادة الصهيونيين ، يسرد ذكرياته منذ نشأته في بولندا الروسية ، حتى إعلان قيام الدولة الصهيونية . يعرض الكتاب الحقائق التاريخية المتعلقة بصدور وعد بلفور ، وفترة الانتداب البريطاني من وجهة نظر صهيونية تتجاهل كثيراً من الحقائق التاريخية ، وتغير بعضها لصالح الصهيونية .

تهويد فلسطين

إعداد وتحرير : د . إبراهيم أبو لغد .
ترجمة : الدكتور أسعد رزوق .
٤١٣ (قطع كبير)
الناشر : منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث : سلسلة كتب فلسطينية – ٣٧ ، ١٩٧٢ .

يسرد هذا الكتاب تطور الصراع الفلسطيني والبريطاني – الصهيوني في فترة الانتداب البريطاني لفلسطين ، وحقيقة أهداف هذا الصراع ، والنتائج الأولية التي أدت إلى تشريد الشعب الفلسطيني ، وإقامة دولة إسرائيل ؛ من خلال دراسات مختارة كتبها مؤرخون بريطانيون وفرنسيون وكنديون وترجمها وحررها المؤلفون . ويتضمن القسم الأول دراسة المراحل المتتابعة للحركة الصهيونية ، وتعتبر مقالة (تصريح بلفور – تقييم في نظر القانون الدولي) من أهم الدراسات التي قدمت حول هذا الموضوع . ويعرض القسم الثاني دراسات عن الأرض والشعب ؛ فيقدم أرقاماً وإحصاءات عن السكان وملكية الأراضي ، ويعرض للأضرار التي لحقت بالسكان العرب على يد المهاجرين الصهيونيين .

المقاومة لا تزال مستمرة



بدو بئر السبع يشاركون في الثورة عام ١٩١٧



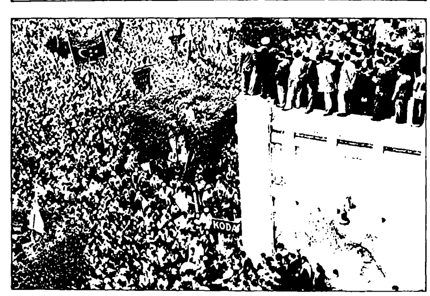
مشاركة العرب في الحرب العالمية الأولى ضد تركيا .



طفل فلسطيني يستخدم المقلاع في رمي المحتلين البريطانيين بالحجارة عام ١٩٢٧



فرقة الجهاد المقدس ، عام ١٩٣٦



حشود الجماهير في القاهرة تعلن احتجاجها على قرار التقسيم في ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٤٧



رجال المقاومة الفلسطينية ، في مارس (آذار) عام ١٩٤٨



عبد القادر الحسيني بين زميلين له من قادة ثورة ١٩٣٦



جنازة الشهيد عبد القادر الحسيني في القدس ، بعد استشهاده وهو يقود رفاقه لتحرير القسطل ، في ٩ إبريل (نيسان) عام ١٩٤٨



أحد الجنود لحظة عبوره قناة السويس في ٦ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٧٣



أطفال وشباب الانتفاضة يتظاهرون ، رافعين العلم الفلسطيني



شاب فلسطيني أعزل يواجه آلة الحرب الإسرائيلية



ويواجه شباب الانتفاضة بالمقلاع جبروت جيش الصهاينة



حجارة الأرض الفلسطينية تتحول إلى سلاح في أيدي أبنائها



الشباب يستعدون لمواجهة قوات الاحتلال



قوات الاحتلال الصهيوني تغلق الحوانيت وتحاصر الحياة الفلسطينية



أطفال من مخيم الجلزون بالضفة الغربية يجمعون إطارات السيارات لإشعالها في طريق قوات الاحتلال



أطفال وشباب فلسطين في مواجهة الرصاص المطاطي والقنابل المسيلة للدموع



وتستمر الانتفاضة حتى النصر وإقامة الدولة المستقلة على كل التراب الفلسطيني

المحتويات